451

HARLEQUIN

روايات أحلام

العائد

باتريسيا ثاير

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

العائد

حان الوقت لكي يرحل!

وصل كول باريش إلى مزرعة راشيل للعمل ولكنه لم يستطع الاستقرار هناك. ولن تغير مخططاته هذه الفتاة الجذابة التي تدير المزرعة وحدها.

فجأة تضطر راشيل إلى أن ترعى طفلاً رضيعاً. إنها الآن بحاجة لأي مساعدة يمكن أن تقدم لها.. لكن كول لا يستطيع أن يعدها بالبقاء... يجب أن يرحل!

قلب راشيل احتلته صورة هذا الشاب الأسمر يحمل الطفل بين ذراعيه ولم تستطع إلا أن تتساءل: "إذا كان ينوي الرحيل فلماذا يا ترى ما زال هنا؟".

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN: 978-9953-15-462-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Rancher's doorstep baby
First Puplished in Great Britain 2007
Harlequin Mills & Boon Limited
©Patricia Thayer 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2009
ISBN 978 - 9953 - 15 - 462 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 -1-0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequinالعالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequinهي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

مكتبة رومانسيا
www.rwayat.com

باتريسيا ثاير

كاتبة روايات كرّست لها عشرين عاماً من حياتها حتى الآن. حازت مؤلفاتها جوائز عديدة في الولايات المتحدة. استطاعت بات أن تحقق حلمها في الكتابة بفضل تفهّم رجال كثر في حياتها هم: زوجها ستيف، وأبناؤها الثلاثة وأحفادها الثلاثة.

تعشق بات السفر، وبخاصة إلى الغرب الأمريكي حيث تقوم بأبحاث تساعدها في كتابة قصصها. تحب بات أن تتواصل مع قرّائها. يمكنكم أن تراسلوها عبر بريدها الإلكتروني:

www.Patriciathayer.com.

١ - الطفلة الجديدة

كان الوقت قد حان للرحيل والانتقال.

نثر كول باريش القش في معلف الحصان. في الواقع كان يجب أن يرحل منذ زمن، فهو لم يمكث في مكان واحد هذا الوقت كله إذ مضى على وجوده في بار أتش أربعة أشهر. إصابة رئيس العمال بنوبة قلبية، لم يتمكن من ترك المالكة تدير شؤون المزرعة وحدها.

أسند مذراة القش إلى السياج ودفع بقبعته للوراء، وعاد الشعور المعتاد بالاضطراب يعتصر معدته، يحثه على الرحيل. كان يزداد تعلّقاً بالمكان وكلما سارع بالرحيل كان أفضل له، فآخر ما يحتاج إليه هو مزيد من الذكريات، فلديه ما يكفيه منها لبقية حياته.

لا بد من الرحيل الآن، سيطلع راشيل هويت على قراره هذا اليوم بالذات، فقد عقد العزم على ألا يؤجل المسألة أكثر. خرج كول وراح ينظر إلى المنزل المؤلف من طبقتين. كان الطلاء الأبيض يغطي المكان بأناقة ذات يوم لكن المنزل يحتاج إلى طلاء جديد وبعض التصليحات الأخرى.

لن تستغرق المهمة سوى بضعة أسابيع.. لكن لا.. لم يعد هذا شأنه أو مشكلته.. فهو راحل.

وقبل أن يصل إلى المنزل، ظهرت راشيل هويت اليافعة على العتبة. كانت ترتدي كعادتها كل يوم ملابس العمل وهي جينز باهت وقميص رجالي، وقد ربطت شعرها الأسود الفاحم ما يظهر جمال وجهها

www.elromancia.com

البيضاوي. كانت طويلة القامة وقوية البنية ومع ذلك محاطة بهالة توحي بالرقة والهشاشة. التقت نظراته بعينيها البنيتين العسليتين فشعر بقلبه يعتصر بين ضلوعه وأنفاسه تختنق في حنجرته.

لا بد له من الرحيل، لا مفر من الرحيل.. حالاً.

ناداها وهو يقترب منها قائلاً: «راشيل، أحتاج للتحدث إليك إن كان لديك بضع دقائق».

أجابته وهي تستند إلى الباب وتبتسم من دون أن يخفي ذلك تعبها.

- ما الأمر كول؟

شك في أن تكون قد حصلت على ما يكفي من النوم، وأنى لها ذلك وهي تدير شؤون المنزل والمزرعة وحدها، رغم أن الأمور لم تتغير كثيراً منذ وفاة والدها قبل سنتين. لقد سمع بعض الروايات التي تقول إن غيب هويت العجوز كان يدير مزرعته من كرسيه، لكن راشيل اعتادت أن تقوم بالعمل الشاق.

لقد مكث طوال هذه المدة لأنه يعلم أن غيب منح الوصاية على المزرعة لمحام حتى تبلغ ابنته الثلاثين من العمر. لم تكن راشيل تملك الإمكانات التي تخولها استخدام الكثير من اليد العاملة في المزرعة ولم يشأ كول أن يتركها تصارع وحدها، وهذا ما جعل رحيله صعباً وقاسياً. لكن كان عليه أن يرحل.

لن يدع الأمور تطول إلى ما لا نهاية.. ليس بعد الآن.

كان يقف عند آخر السلم حين قال: «إني أعطيك إشعاراً برحيلي بعد أسبوع».

راقب عيناها تتسعان رعباً حاولت إخفاءه سريعاً وهي تقول: «لقد قلت إنك ستمكث فترة أطول، تعلم أن سي عاجز عن القيام بالعمل لوحده».

تدارك كول الأمر ونجح في إخفاء ابتسامة وهو يقول: «من الأفضل ألا يسمعك تقولين هذا».

لقد عمل سي باركس في المزرعة ما يقارب الثلاثين عاماً. وقد كانت محقة في حديثها عن عجزها عن تدبر أمورها بمفردها، لكن المزرعة لم تكن بالغة الاتساع بحيث تكفي ثلاثة رجال. وعاد يقول:

- مع نهاية موسم الربيع ستهدأ الأمور لفترة وسيتمكن من تدبر أمور الماشية ما يمنحك وقتاً لاستخدام شخص غيري.

لم تكن راشيل ترغب في استخدام أي شخص آخر لأنها لا تملك من المال ما يكفي لذلك، فهي لم تعد واثقة حتى من قدرتها على دفع أجر كول نفسه.

مع أن مهمته لم تكن محددة، إلاّ أنّ راشيل تثق به. كان عاملاً مجتهداً. وعندما أصيب سي بالنوبة القلبية قدّم له الإسعافات الأولية وأنقذ حياته. لقد أبقاه كول حياً حتى حضرت سيارة الإسعاف من البلدة.

- ما من أحد أوظفه الآن، فمعظم الرجال انتقلوا إلى المزارع الكبرى في محيط سان أنجلو.

- سأتوجه إلى هناك أيضاً.

- إسمع! إن كان الأمر يتعلق بالمال..

هز رأسه قائلاً: «أحتاج فقط للتغيير. سأعمل حتى نهاية الأسبوع، فحاولي أن تجدي بديلاً إذا أحببت».

كان كول باريش وسيماً بشعره الداكن ونظرة عينيه الثاقبة. كانت ترى أحياناً حزناً في أعماقهما يجعلها ترغب في البكاء. لا بد أن لديه أسبابه للرحيل ولا ينبغي أن تردعه، فقالت: «شكراً لك كول. ستقدم لي عوناً كبيراً».

لامست أصابعه قبّعته واستدار ليعود أدراجه نحو الحظيرة، ولم تستطع راشيل سوى أن تراقب رحيله بتقدير. كانت سترة من الكتان تغطي كتفيه العريضتين لكنها لم تتمكن من إخفاء بنيته القوية، فسنوات العمل الشاق نحتت عضلات ظهره وخصره. وسرت في جسمها قشعريرة غريبة، قشعريرة انتابتها مراراً منذ وصول كول باريش إلى المزرعة. لم يكن غيب هويت ليوافق على ذلك بتاتاً.

التقطت راشيل أنفاسها واستدارت لترحل هي أيضاً. لقد أحبت والدها لكنه كان يضرب بيد من حديد عندما يتعلق الأمر ببناته، ولقد أشبعها هي وأختها الصغرى (سارة) بمحاضرات وخطب حول شرور هذا العالم. ومع أنه لم يقل ذلك صراحة، إلاّ أنها تعلم أنه يخشى أن ينتهي الأمر بهما منحلتين كأمهما.

تخلّت عنهم جورجيا حين كانت راشيل في العاشرة وسارة في الخامسة فقط، وحاولت راشيل ألا تكره أمها، لكن الشعور بالتخلّي الذي عاشته هي وأختها لم يفارقهما أبداً. بعد انتهاء المرحلة الثانوية كانت سارة متلهفة للرحيل وقد رجت راشيل لترحل معها، لكن راشيل لم تتمكن في النهاية من ترك والدها فيما هربت سارة تلاحق حلمها.

الآن رحلت سارة وأبوها. ابتلعت راشيل الدموع التي هدّدت بالانهمار وعادت تدخل المنزل. سرعان ما ستدير المزرعة وحدها، وقد أثار ذلك الرعب في قلبها كما الحماسة.

في موعد العشاء أجبر كول نفسه على اجتياز الباب الخلفي تماماً كما كان يفعل على مدى الأشهر الماضية. كان الأمر طبيعياً، طبيعياً جداً، لكنه لم يعد كذلك هذا الأسبوع إذ لم يعد يلمح ابتسامات راشيل ولا اللمسة المميزة التي تضفيها على كل ما حولها.

إضافة إلى تحضير الطعام والاهتمام بشؤون المنزل، كانت راشيل

تمتطي حصانها وترعى القطيع كأي رجل في المزرعة. كانت تعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم ولم تطلب يوماً من أحد القيام بعمل لا يود القيام به.

علق كول قبعته ودخل المطبخ الموحش. كانت جدران المطبخ بحاجة للطلاء، فالدهان مقشر والخزائن مخلعة، لكن المكان نظيف تماماً.

استدارت راشيل نحوه وابتسمت ما جعله يدرك أنه كان يتطلع طيلة النهار لرؤيتها. يمكن للرجل الاعتياد على رؤية هذه المرأة، لكن ليس هو.

أوماً وهو يشق طريقه نحو الطاولة المعدّة لثلاثة أشخاص وبعد أن جلسا قالت راشيل: «كول، أود أن أشكرك على مساعدتي طوال الأشهر الماضية. أخطأت سابقاً حين حاولت منعك من الرحيل. لقد منحتنا من وقتك بسخاء».

لماذا عليها أن تكون بهذه العذوبة؟

- على الرحب والسعة، إن كان هناك ما يمكنني القيام به قبل أن أرحل، فدعيني أعلم.

التقت نظراتهما وعاد البركان الداخلي يثور، إنها الرغبة التي تحرقه والتي يستطيع أن يرى انعكاسها في عينيها، ونظر إلى صدرها فلاحظ تسارع أنفاسها. أنبأه حدسه بضرورة حجب نظره لكن ظمأه منعه. وفي تلك اللحظة، لفت انتباههما دخول سي من الباب الخلفي.

سار الرجل العجوز ببطء نحو الطاولة بشعره الأبيض المسرّح إلى الوراء ووجهه الأسمر الذي أنهكته السنوات. أظهرت ابتسامته العريضة تجاعيد كثيرة حول عينيه البنيتين. لقد خسر من وزنه بناء على طلب الطبيب وغيّر عاداته الغذائيّة.

- يبدو أني لم أفوّت شيئاً.

www.elromancia.com

تمتم كول وهو يمشي نحو البراد لإحضار إبريق الماء: «وكأنك تتأخر أصلاً عن الطعام».

ملأ الأكواب بالماء بينما وضعت راشيل الدجاج المشوي والبطاطا المهروسة والخضار الطازجة على الطاولة. وقال سي: «عزيزتي هل أنا في الجنة؟».

أجابته راشيل وهي تسحب كرسيّها: «أنت تقول الأمر ذاته مهما أعددت من طعام».

- لن أكذب عليك وأقول إني لا أفتقد طبق الدجاج المشوي والحساء الذي تحضرينه.

ابتسمت راشيل وقالت: «سأحاول ابتكار طريقة تجعله صحياً لتتمكن من تناوله».

ما إن جلس الجميع إلى المائدة حتى بارك رئيس العمال الطعام قائلاً: «نشكر الله على نعمة الطعام الموجود على الطاولة، وعلى وجود راشيل التي تهتم بنا. آمين».

ثم رفع رأسه ومد يده نحو طبق الطعام وأضاف: «دعونا نأكل الآن».

بعد أن سكب الطعام في صحنه مرّر الوعاء لراشيل التي قالت له: «شكراً لك سي ولكلماتك الرقيقة لكننا جميعاً نعمل بكدّ هنا».

أجابها سي وهو يسكب الحساء في صحنه: «نحن نتقاضى المال لقاء عملنا، لكنك تقدمين خدمات إضافية للجميع. لست مضطرة مثلاً لغسل ملابسي أو إصلاحها لكنك تفعلين».

فاعترضت قائلة: «لقد خسرت الكثير من وزنك كما أني أحب الخياطة».

أجاب سي وهو ينظر إلى كول: «أعلم، فأنت تصنعين أجمل الأغطية

في المقاطعة. يجب أن تعرضيها في أحد المتاجر الفاخرة في سان أنجلو. كنت أخبرها أنها ستجني الكثير من المال».

هزت رأسها وقالت: «إني أتبرع بها للمحتاجين».

قطب العجوز جبينه وقال: «ويقومون بدورهم ببيعها وجني الأرباح التي تحتاجين أنت إليها».

استرقت راشيل نظرة نحو كول الذي بدا غير مهتم بالحديث لكن ذلك لم يمنع سي من متابعته.

- عملت لدى والدك لسنوات طويلة ولم يكن يعاملك بإنصاف دوماً.

شعرت راشيل بالدم يتصاعد إلى وجهها: «أبي لم يكن بصحة جيدة و...».

هز سي رأسه: «كفي عن تبرير تصرفاته، لقد جعلك وأختك تدفعان ثمن رحيل أمكما..».

توسّلته قائلة: «سي.. أرجوك».

بينما كان يمضغ طعامه قال: «كانت أمك طيبة وقد دفعها أبوك للرحيل تماماً كما فعل بسارة. اضطررت للاهتمام بالمكان.. ولم تتمكني من القيام بأتفه الأمور إلا بعد الحصول على إذن من المحامي. حمداً لله أن ذلك شارف على النهاية».

وضعت راشيل الشوكة في الصحن. لم تشأ أن تتشاجر مع سي، وأي نفع في ذلك؟ فأمها وأبوها وأختها رحلوا، ولم يكن بمقدورها تغيير الواقع. ودفعت بكرسيها إلى الوراء ووقفت واستدارت تخرج من المطبخ وهي تقول: «لا أود الحديث في هذا الموضوع، والآن هلا تعذرانني؟».

جاهد كول لمنع نفسه من اللحاق بها. ماذا سيقول لها؟ كان يعرف أمثال هويت إذ تربّى في ظل أب ناكر للجميل، أب لم يرضَ يوماً عن

أي من أفعاله ما دفعه للكف عن المحاولة في نهاية المطاف.

نظر سي إلى كول قائلاً: «لا تنظر إليَّ هكذا أنت أيضاً».

لعب كول دور الأحمق: «لماذا قلت هذا؟».

أشار العجوز بإصبعه نحو الباب: «الفتاة تحتاج لنفض سنوات الشعور بالذنب التي ألقاها والدها على كاهلها. هل نظرت إلى راشيل؟ تخاف أن تكون امرأة لأن أباها جعلها تشعر بالعار من ذلك. وقفت أتفرج طويلاً، لكن عامين مضيا على رحيل النذل وراشيل لا تزال خائفة من أن تعيش. إنها امرأة جميلة، وتحتاج لشخص يجعلها تدرك ذلك».

لم يشأ كول سماع المزيد، فتناول آخر ما في صحنه من طعام وحمله إلى الحوض وهو يقول: «أظن أن راشيل بحاجة لأن تقلق بشأن معيشتها وستكون بخير».

- تقول هذا لئلا تشعر بالذنب عند رحيلك من هنا.

أصابت كلمات الرجل مكمن الوجع، لكن مع ذلك ينبغي عليه أن يرحل.

- تم استخدامي لإنهاء أعمال الموسم فبقيت لأشهر إضافية.

- وأقدر لك تحمّل بعض الأعباء عني.

- لم تكن تلك مشكلة في حينها لكن ثمة عمل ينتظرني الآن في سان أنجلو.

لم يجادله سي، بل أنهى وجبة طعامه، وحمل صحنه إلى الحوض وأسند نفسه إليه يتفرّس في كول. لا شك أن رئيس العمال لديه ما يقوله.

حدّق كول في الرجل وسأله: «حسناً، هل تحاول إقناعي بالبقاء؟».

عض العجوز شفته السفلى في محاولة لاختيار كلماته بدقة: «كلا

عليك أن تتخذ القرار بنفسك. إني أتساءل: «مما تهرب».

* * *

تعلمت راشيل منذ وقت طويل أن الدموع لا تفيد، فهي لم تمنع رحيل الذين تحبهم، وها هي وحيدة، من دون زوج أو عائلة تخفّف عنها. المزرعة هي كل ما لديها فضلاً عن عزمها المحافظة عليها.

بدلت ملابسها وارتدت ثياب النوم ثم دخلت الحمام حيث غسلت وجهها. كان عليها أن تغسل الصحون.

نزلت راشيل السلالم وعبرت غرفة الجلوس. كانت الأرض الخشبية ملمّعة لكن البساط العتيق أمام الموقد مهترىء كما أثاث المنزل. لكن هذا بيتها وعليها أن تفكّر في طريقة للحفاظ عليه بالرغم من الصورة القاتمة التي رسمها المحامي لمستقبلها المالي.

عبرت غرفة الطعام ودخلت إلى المطبخ لكنها توقفت حين رأت كول يقف عند الحوض وقد رفع كميه.

علا الاحمرار وجنتيها بسرعة. لم تشأ التحدث إلى أحد الليلة لا سيما كول. أرادت للحظة أن تستدير وتهرب لكنها فوتت الفرصة عندما التفت كول من فوق كتفه ورآها.

لم يفعلا شيئاً للحظة سوى التحديق أحدهما في الآخر. اشتبكت نظرات عينيه الرماديتين بعينيها ومنعتها من التقاط أنفاسها.

أمال برأسه فتمايلت خصلة من شعره على جبينه: «حسناً، لا تقفي هناك، تناولي منشفة».

نجحت في التحرك من مكانها وقفزت إلى جانبه وتفاجأت أنّه لم ينحّى جانباً: «ما كان عليك أن تقوم بذلك».

أجابها وهو يغسل الصحون: «ما من مشكلة. اكتشفت أنها طريقة جيدة لإزالة الأوساخ من تحت الأظافر. يمكنك تجفيفها».

www.elromancia.com

- لكن هذا ليس عملك.

توقف عن العمل ونظر إليها قائلاً: «ولمَ لا؟ وكأنني لم أشاهدك تمتطين الحصان وتساعدين في جمع الأبقار. دعينا لا نثير المشاكل حول أمر تافه راشيل، كما أني بللت يدي».

وبتردد وبطء، سحبت راشيل المنشفة عن الطاولة.

أمِل كول أن ينتهي قبل أن تنزل من غرفتها. لم يشأ أن يجد نفسه برفقة راشيل هويت في ملابس نومها وشعرها الحريري الطويل يغطي ظهرها في منزل يخيم عليه هدوء الليل. شعر بموجة حرّ تكتسحه لمجرّد وجودها بقربه. لقد أيقظت في داخله ذكريات حاول جاهداً نسيانها، ذكريات خسارة الزمن البعيد.

استهلت راشيل حديثها بصوت أجش: «آسفة بشأن ما حدث، فسي يقصد.. حسناً».

وضع كول الصحن في المياه يتذكر كيف كاد يصعد الدرج وراءها راكضاً ليطمئن إلى حالتها، ليعود ويدرك أنه بذلك يلعب بالنار.

منذ ثمانية عشر شهراً، فرض كول على نفسه بعض القواعد. أولها عدم التورط مع أي امرأة، لا سيما راشيل. ثانياً، عدم المكوث في مكان واحد طويلاً. سبق له أن كسر إحدى هذه القواعد، وهو لا ينوي الإخلال بغيرها.

هز كتفيه قائلاً: «هذا ليس من شأني».

كلما عرف عنها معلومات أقل، كلما سهل عليه الرحيل.

- ومع ذلك أعتذر عما سببه لك من انزعاج.

- أنت وسي تشكلان عائلة. أعلم أنّه يهتم لأمرك فهو قلق لأنك ستقومين بإدارة شؤون المزرعة وحدك. إنّه أمر شاق.

رفعت ذقنها الجميل: «تدبرت أموري جيداً حتى الآن».

غسل كوباً آخر بالماء الصافي قائلاً: «هل من أحد من أفراد العائلة قد يرغب بمساعدتك هنا؟».

هزّت رأسها وهي تضع أحد الصحون وقالت: «لم يكن لأبي أي عائلة».

كان كول يدرك ماذا يعني أن يرحل عنك إلى الأبد من تحب. أنبأه انقباض صدره بمدى اقترابه من حافة إيقاظ الذكريات، والماضي الذي ناضل لإبقائه مدفوناً. فعاد وطمس العواطف المهدّدة.

- إذاً علينا إيجاد شخص تثقين به ليساعدك في إدارة شؤون المكان.

- لا أستطيع أن أدفع له فوالدي لم يدخر الكثير، وليس لديَّ ما يكفي لدفع أجر محترم. قمنا بعمل جيد عندما بعنا العجول في الربيع ما أمّن مبلغ الرهن.

كان يعلم أن المحامي، لويد موتغومري، يتحكّم بإنفاق المال. لكن وللأسف، لا يمكن إدارة شؤون المزرعة من وراء مكتب في المدينة.

ذكر كول نفسه بألاّ يتدخل وبأنه سيرحل مع نهاية الأسبوع. لكنه قال لها: «ثمّة طرق أخرى لتسديد ديون المزرعة».

كان كول قد أنهى غسل الصحون فجفف يديه بالمنشفة مضيفاً: «قد تجنين آلاف الدولارات إذ سمحت بمجيء الصيادين إلى المزرعة، يجب أن تفكري بالأمر».

هزّت رأسها: «لم يكن أبي يشركني في أخبار المزرعة. وكما بت تعلم، لا أملك السلطة بعد على المزرعة ولكن سرعان ما سيتغير الحال. تجاوزت الكثير من الأمور وأحاول أن أتعلم بنفسي. يقول لويد مونتغومري إنَّ عليَّ بيعها».

قطب كول جبينه وسأل: «لماذا؟».

- يعتقد أني لا أستطيع تدبر الأمور كلها بنفسي.

اعترض كول: «وماذا يظن أنك كنت تفعلين طوال تلك السنوات الأخيرة، تتنزهين في الحقول؟».

دفع كلامه بابتسامة إلى ثغرها فحبس أنفاسه. إنها بغاية الجمال لكن ليس لديها أدنى فكرة عن ذلك.

صمتت لبضع دقائق قبل أن تقول: «عليَّ أن أزيد المدخول وإلا قد أخسر كلَّ شيء. كنت أفتّش في مكتب أبي عندما عثرت على رسالة من شركة تسأل عن استئجار إحدى الأراضي، هلاَّ تطلع على مضمون الرسالة عندما يكون لديك بعض الوقت؟».

نظر إلى ساعته وقال: «لا ضير من ذلك. ما رأيك لو أراها الآن؟».

وضعت راشيل المنشفة من يدها واتجها سوياً نحو المكتب الصغير بجانب غرفة الجلوس. كانت الطاولة ضخمة تحتل معظم مساحة الغرفة النظيفة المرتبة كما بقية أرجاء المنزل.

ذهبت راشيل إلى خزانة الملفات وسحبت أحدها. أخذت منه الرسالة وسلمتها لكول.

نظر إلى العنوان، إنها شركة «تونتي فرست سينتشوري الواقعة في سان أنجلو، تكساس». يقول نص الرسالة إن الشركة أجرت مسحاً لأرض المزرعة ووجدت أن الهضبة الصخرية مكان مثالي لإقامة الطواحين. كان كول يعرف المكان جيداً، والمنطقة المحددة بالكاد تنفع لأي شيء آخر، وقد طلبت الشركة استثمار الأرض. تفقَّد الملف فلم يجد شيئاً آخر وسألها: «هل قام محاميك بالاتّصال بهم؟».

هزت رأسها: «كلا، لقد وجدت هذه الرسالة في سلّة المهملات. أعتقد أنّ «مونتي» ظن الفكرة غير جيدة بالنسبة لي، ما رأيك أنت؟».

لم يشأ أن يؤثّر في قرارها لكنه لم يفهم لما يتجاهل مونتي العجوز

الطيب عرضاً مدرّاً للمال.

- ما من ضرر في معرفة نواياهم. بعد بضعة أسابيع تنتقل ملكية المزرعة رسمياً إليك. لمَ لا تنتظرين إلى ذلك الحين؟

سألته: «هل هي شركة قانونيّة؟».

هزَّ رأسهُ وقال: «يبدو أنها تستثمر الأراضي لتقيم الطواحين وتمنح المالكين نسبة من الأرباح وتأخذ الباقي. راشيل لن تحصلي فقط على المال من إيجار الأرض بل ستجنين الأرباح من الكهرباء التي تولدها الطواحين وتبيعينها للجوار».

- وهل هذا أمر جيّد؟

- هذا ممكن. ينبغي أن تتصلي بالشركة وتعلميها باهتمامك بالأمر. بغض النظر عما يقوله المحامي فأنت أكثر قدرة على التعامل مع هؤلاء الأشخاص.

نظر إلى الاسم المدوَّن في الرسالة «دوغلاس ويلز»، ثمَّ سلَّمها الرسالة متنشّقاً رائحتها التي لا يضاهي إثارتها أي عطر آخر.

رفعت راشيل رأسها تنظر إليه. لم يرَ على وجهها أي أثر للماكياج مما سمح له برؤية النمش على أنفها. كانت عيناها بلون الكهرمان تغطيهما رموش سوداء طويل. وشعر بموجة حرّ تحرق جسمه كله، لكنه حاول تجاهل هذا الشعور. كانت قريبة جداً منه وجميلة جداً، ومغريّة جداً وكأنها ما أراده منذ زمن. سمع أنفاسها تتسارع ثم نطقت اسمه: «كول..».

حجب صوتها وهي تلفظ اسمه كل منطق لديه، فاقترب منها أكثر متعهداً لنفسه بأن يكتفي بمعانقتها وضمها إليه ليغرق في براءتها.. وحلاوتها.

لكن صوت محرّك سيارة أعادهما إلى الواقع فارتدَّت راشيل بسرعة

إلى الخلف. كان ينبغي أن يشعر بالارتياح لما حصل، لكن الغضب هو كل ما شعر به.

توجّهت راشيل إلى النافذة فلحق بها كول مذهولاً لأنه كاد يقترف خطأ كبيراً. لا يمكن العبث مع شخص مثل راشيل والرحيل بعدئذٍ، فسيكون هذا مجحفاً جداً بحقها.

كانت الشمس تميل إلى الغروب من خلف النافذة ما جعل الرؤية صعبة فسألها: «من هذا؟».

خرجت راشيل من الغرفة يلحقها كول وهي تقول: «لست واثقة».

تمكّن من اللحاق بها أخيراً عندما تجاوزت عتبة المنزل فرأى الشريف ورجلاً آخر يخرجان من سيارة الدورية.

كان قريباً منها بما يكفي ليشعر بمدى توترها.

لمست أصابع الرجل باللباس الرسمي أطراف قبعته ومشى نحوها ثم توقف عند أسفل السلالم قائلاً: «مساء الخير سيدتي. أنا الشريف كلارك».

أجابت راشيل: «مساء الخير أيها الشريف، ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

- إننا نبحث عن راشيل هويت.

- أنا هي.

تبادل الرجلان النظرات ثم سألها الشريف: «هل لديك أخت تدعى سارة؟».

خرجت الإجابة متحشرجة من حنجرة راشيل: «أجل».

اقترب كول تلقائياً منها يسندها.

- هل يمكننا الدخول؟ نود طرح بعض الأسئلة عليك.

أومأت راشيل وصعد الرجلان السلالم ثم دخلا المطبخ: «هل رأيتما

أختي؟ أهي في فورت ستوكتون؟».

أجاب الشريف: «كلا، هذا مايك بينتلي من قسم الخدمة المدنيّة في سان أنطونيو حيث كانت تقيم أختك في الأشهر القليلة الماضية».

وفجأة، فتح الباب الخلفي ودخل سي يسألها: «راشيل.. لِمَ سيارة الشريف هنا؟».

- لقد أتى هذان الرجلان بخصوص سارة، كانت تعيش في سان أنطونيو.

تبادل كل من كول وسي نظرات قلقة فالشريف لا يأتي إلى منزل أحدهم حاملاً معه أخباراً جيدة.

- أهذا صحيح؟

وأخيراً تكلّم رجل الخدمة المدنية قائلاً: «حاولنا العثور على عائلتها فلم نوفّق إلى أن أتى أحد الأصدقاء للبحث عنها، حينذاك علمنا بشأنك آنسة هويت».

قال لها الشريف: «ربما يجدر بك أن تجلسي سيدتي».

طرفت راشيل بعينيها قائلة: «هل تورطت أختي بالمتاعب أيها الشريف؟».

- يؤسفنا أن نخبرك أن سارة ماتت في حادث سير قبل ثلاثة أسابيع.

لم يسبق لراشيل أن سمعت كل هذا الأزيز في رأسها إذ راحت كلمتا «سارة ماتت» تترددان في رأسها. وشعرت أن العالم من حولها ينهار.

وضع كول ذراعه حولها يسندها ثم تمتم قائلاً: «أمسكت بك، استندي إليّ وحسب».

كافحت راشيل لتستعيد توازنها وهي تسير في المطبخ قائلة: «تفضلوا بالجلوس رجاءً، سأحضر بعض القهوة».

www.elromancia.com

لكنها عادت تشعر بقبضة كول على يديها المرتجفتين. قال وهو ينظر في عينيها: «راشيل، لا نريد قهوة، يجب أن تجلسي وحسب. هل تريدينني أن أتصل بأحدهم؟»

هزت رأسها: «كلا، هلا بقيت معي؟».

قادها إلى الطاولة وأجلسها في كرسي قبل أن يسحب آخر ويجلس: «طبعاً».

تبادل الرجلان نظرة مطوّلة قبل أن يتابع الشريف كلامه: «آسف يا آنسة هويت، لا أحب أن أضعك في هذا الموقف لكن أختك لم تترك أيّ معلومات من عائلتها. كان يهمنا أن نجدك لأن.. أختك وضعت طفلة».

٢ - أشباح الماضي

عند السادسة والنصف من صباح اليوم التالي، ارتدت راشيل تنورة قاتمة وسترة بيضاء. فالليل قد انقضى بوجوم حيث أوكلت إلى كول وسي مهمة الحصول على تفاصيل الحادث. ولم تفهم كلمة أخرى عدا ثقب في الإطار. علمت لاحقاً أن سارة فقدت السيطرة على السيارة وارتطمت بإحدى الأشجار وقد دخلت في غيبوبة تامة فاضطر الطبيب لتوليدها قبل أربعة أسابيع من موعدها.

لم تتمكن راشيل من النوم وأخذت تتجول في أرجاء المنزل محاولة طرد الشعور بالذنب الذي هدّدها. كان ينبغي أن تحاول العثور على سارة وإعادتها للمنزل، وها هي الآن ستعيد ابنة أختها التي لا تزال طفلة في أسابيعها الأولى.

بعد أن وضبت حقيبتها للذهاب إلى سان أنطونيو، خرجت إلى حيث كان سي وكول بانتظارها بالقرب من الشاحنة الحديثة الطراز.

أخذ كول حقيبتها فالتفتت إلى سي قائلة: «هل أنت واثق من قدرتك على إدارة الأمور هنا؟».

- كل الثقة أستطيع ذلك بعينين مغمضتين، ولأريحك أكثر، سيمر باد كاميل لمساعدتي.

تفرست راشيل في معالم الرجل الذي شكّل مصدر الحب الوحيد في حياتها. كان بمثابة عمّ لها.

- لا تجهد نفسك وحسب. تركت بعض الدجاج في البراد من

www.elromancia.com

أجلك فاحرص على تناوله ولا تأكل الطعام المقلي والدسم الذي يقدمه مطعم البلدة.

عانقها مجدّداً وقال: «كفي عن القلق بشأني أيتها الفتاة، لديك ما يكفيك من الهموم».

ثم نظر إلى كول مضيفاً: «احرص على أن تأكل هي أيضاً».

وعده كول وهو يفتح لها الباب: «سأفعل. يستحسن بنا أن نرحل».

أدار كول المحرك بعد أن صعدت راشيل وتوجّه نحو الطريق العام. حاول كول ألا يسرع بغية الوصول بأمان لكن الطريق إلى سان أنطونيو كان طويلاً. أمضت راشيل الساعات القليلة الأولى تحدق من النافذة بصمت، وكان صوت هدير المحرّك وحده يملأ المكان.

وأخيراً طرحت السؤال: «هل تظن أنها تعذّبت؟».

صُدم كول لسؤالها المفاجىء فهو يعلم جيداً إلى أيّ مدى يمكن للحياة أن تكون هشة، وكم يسهل انتزاعها، وقد باتت راشيل تعرف الشعور جيداً الآن.

- لا أعتقد ذلك. أخبرونا أنها كانت فاقدة للوعي عند وصولهم.

أخذ يحدّق في الأميال البعيدة الممتدة أمامهما. لم يشأ أن يفكر في ألم راشيل. لم يكن يساوره أدنى شك في أن الألم يتآكلها بعد أن فقدت أختها التي لم ترها منذ سنوات. والشعور بالفراغ لن يفارقها، لن يفعل حتى وقت طويل.

استدارت راشيل نحوه وقالت: «اعتدت أن أكرهها. كنت غاضبة جداً لرحيلها عني. وهي لم تسأل عني يوماً أو عن أبي».

- لم أكن أعرف أختك، راشيل. لكن ربما لديها أسبابها.

- طبعاً لديها أسبابها فقد كانت تكره المزرعة وأبي.

قال لها وهو يدرك أن في الأمر أكثر مما تفصح عنه كلماته: «يعيش الأولاد الكثير من الصراعات مع آبائهم».

لقد سمع الكثير عن غيب هويت، فالرجال الذين عملوا معه وصفوه بالمستبد. ومن الواضح أنه لم يعامل ابنتيه بشكل أفضل.

أشاحت راشيل بناظريها وقالت: «طالما كانت سارة متمرّدة. يبدو أنها كانت تتعمّد فعل ما يغضب أبي. أخبرتني يوماً أنها سترحل لتؤسس حياتها الخاصة وقد أخذت المال من مكتب أبي».

أبعد كول ناظريه عن الطريق ونظر نحوها قائلاً: «وماذا فعل؟».

- قال إنها كأمنا وما من فائدة ترجى منها وأنه لم يعد لديه ابنة تدعى سارة.

أطلق كول شتيمة همساً وقال: «لعل أباك كان قاسياً جداً يا راشيل لكن من المفترض أن تعرف سارة أنك أحببتها».

قالت راشيل والمشاعر تنعكس في صوتها: «كل ما أردته هو أن تعود إلى المنزل. لقد فات الأوان.. الآن».

- لكن الأوان لم يفت بالنسبة لابنتها، يمكنك إعادتها إلى المزرعة.

كان كول يعلم في أعماقه أن الفرصة الثانية لا تتوفر للجميع.

مضى عامان تقريباً على دخول كول المستشفى لآخر مرّة، لم يفعل منذ أن هرعت جيليان إلى المستشفى. وفجأة شعر برأسه يدور وجسمه يرتجف. قاوم الشعور لكنه لم يتمكن من دفن الذكريات عندما هددت الروائح بخنقه. مرّت عليه أوقات تمنّى فيها لو أنّه اختنق فعلاً فما كان سيواجه الأسئلة أو الاتهامات أو الشعور بالذنب.

ينبغي عليه أن يتماسك من أجل راشيل. كان النهار طويلاً أصلاً، وما زال أمامها الموعد مع المرشد الاجتماعي الموكل بقضية ابنة أختها.

ضغط كول زر المصعد ونظر إلى وجه راشيل الشاحب ثم أخذ يدها

الباردة في يده طوال الوقت نحو الطابق الرابع.

- أدعى راشيل هويت وقد أتيت للقاء السيدة نيلي.

أشارت الممرضة نحو قاعة الاستقبال حيث تجلس امرأة في منتصف العمر منكبة على الاطلاع على بعض الأوراق. توجهت راشيل إليها: «سيدة نيلي».

وقفت المرأة ومدت يدها وهي تبتسم بلطف: «أجل، أنا بيت نيلي. لا بد أنك راشيل هويت».

- وكيف عرفت؟

- رأيت صورة لك بين أغراض أختك.

اتسعت عينا راشيل: «هل كانت سارة تحمل صورة لي معها».

أومأت المرأة وهي تنظر إلى كول لتقول: «كنتما أكثر شباباً، لكن ما زلت كما أنت. أظن أن الشرطة ستسلمك أغراضها كاملة بعد أن عثرت عليك».

همست راشيل: «لم نر أنا وأختي بعضنا لما يزيد عن ثمانية أعوام».

حاول كول جاهداً البقاء بعيداً لكنه وجد نفسه يقترب ليؤمن لها الدعم. وسألها: «هل كانت سارة تعيش في سان أنطونيو طوال الوقت؟».

هزت نيلي رأسها تقول: «علمت أنه لم يمض على وجود سارة في المدينة سوى بضعة أشهر. لقد استأجرت شقة مفروشة، وكانت تعمل كنادلة في مطعم محلي صغير. السيارة التي تقودها مسجلة باسم صديقة لها تدعى كادي جونستون وهي كانت خارج المدينة عند وقوع الحادث. عادت الآنسة جونستون هذا الأسبوع وهكذا علمنا بشأنك آنسة هويت».

سألت راشيل: «ماذا عن والد الطفلة؟ هل كانت سارة متزوجة؟».

- لم نجد أي وثيقة زواج معها. ووفقاً لصديقة أختك لم يشأ الأب أن يعترف بالطفلة. إن كان هذا صحيحاً، فتكونين أنت قريبتها الوحيدة.

وبعد نصف ساعة والعديد من الأسئلة اعتذرت راشيل وسارت في ممر المستشفى نحو المرحاض.

كانت تحتاج لبعض الوقت لتتماسك. وبعد أن غسلت يديها ورشت الماء على وجهها، ذهبت إلى أحد الأماكن الهادئة في المستشفى وركعت تصلي.

صلت لراحة نفس أختها التي افتقدتها كل يوم منذ رحيلها ثم بدأت تطرح التساؤلات عن سبب رحيلها.

اجتاحتها موجة من الحزن لم تعرفها سابقاً وهي تتذكر الطفلة الضاحكة التي أمضت معها أيام طفولتها. لقد قامت بتربية أختها الصغرى بعد رحيل الأم، وكانت سارة تلحق بها وتقلّد حركاتها.

لكن كلما كبرت سارة، أصبحت أكثر تمرداً ورفضت البقاء تحت سيطرة غيب هويت. كانت راشيل تحسد سارة لشجاعتها وجرأتها على اتخاذ قرار الرحيل ومع هذا بقيت تتمنى لسنوات أن تعود.

لكن أختها لن تعود وعليها أن تتقبّل ذلك.

تنفست راشيل بعمق وتملكتها السكينة بعد الوداع الأخير. عليها الآن أن تؤمن منزلاً وعائلة لابنة أختها.

راقب كول راشيل وهي تدخل القاعة. من الواضح أن الأمر ترك أثره عليها، ولم يساعده ذلك كثيراً. مهما حاول خنق ذكرياته، لا تنكف تطفو على السطح مجدداً. لا ينفك ماضيه يعود ويعيد إليه أسوأ وأفضل لحظات حياته.

وجه انتباهه نحو راشيل التي حاولت الابتسام من دون أن تنجح في

ذلك. قرّبها إليه بشكل تلقائي ينعم بدفئها، إحساس قد يقود للإدمان لو سمح له بذلك.

- كنت أجلس مع نفسي. هل سألت السيدة نيلي عني؟

تراجع كول للوراء وقال: «مرّت وسألت إن كنت تودين رؤية الطفلة».

ردّت وقد اتسعت عيناها البنيتان: «حقاً ؟ لكني ظننتها لا تزال في غرفة حديثي الولادة».

- إنها كذلك. لكن يسمح لك برؤيتها لأنك من عائلتها.

هذه المرة نجحت في إظهار ابتسامتها.

- أنا فعلاً من عائلتها، ألست كذلك؟

- إذاً، هل أنت جاهزة لرؤية ابنة أختك؟

وهكذا أتت السيدة نيلي وقادتها عبر القاعة إلى حضانة حديثي الولادة وقالت: «اكتسبت الطفلة وزناً على مدى الأسبوعين الماضيين، وقد أصبحت اليوم تزن ثلاثة كيلوغرامات ونصف. ستزودك الممرضات بمواعيد تناول الطعام قبل أن تأخذيها إلى المنزل».

- المنزل؟ بهذه السرعة!

ابتسمت بيت وأضافت: «لا يمكنني إخبارك كم نحن سعداء لإيجادك، ليس لأننا سنواجه مشاكل في إيجاد أهل محبين لهذه الطفلة الرائعة، بل لأننا نفضّل الأقرباء كخيار أول. هل اخترت اسماً».

فتحت راشيل فمها لتجيب لكنها لم تكن تملك جواباً.

- كلا.. لم أفكر في الأمر.

- اعلمي أننا وجدنا بين أغراض أختك غطاء للطفلة طُرّز على إحدى زواياه اسم «هانا ماري» لكن الأمر يعود لك.

أومأت راشيل.

- حسناً إذاً لنعرفك إلى ابنة أختك.

نظرت إلى كول من فوق كتفها، فقال لها: «سأنتظرك هنا».

كانت راشيل تأمل أن يرافقها لكنها أدركت أنها يجب ألا تعتمد عليه، لا سيما أنه سيرحل قريباً. كانت أنانية بما يكفي في تلك اللحظة لتأخذ كل ما يُقدّم إليها. وتم اصطحابها إلى قسم الأطفال بعد أن لبست الثوب المعقم. وأخرجت الممرضة الطفلة من المهد ووضعتها بين ذراعي راشيل.

نظرت إلى الكائن الصغير ذي الرأس المكسو بالشعر الأسود والوجه الزهري. تثاءبت الطفلة وفتحت عينيها. كانتا شبيهتين تماماً بعيني سارة الزرقاوين بلون البحر. رفعت راشيل يد الطفلة التي سارعت إلى لف أصابعها الصغيرة على إصبع خالتها فوقعت في حبها فوراً.

- أظنني قررت ماذا أسميها. بدلاً من هانا ماري سأسميها هانا سارة على اسم أمها.

وأصرّت راشيل عند خروجها: «أودّ التكلم إلى الطبيب».

قال كول وهو يرافقها إلى المصعد:

- أعلم أنك تريدين البقاء مع الطفلة يا راشيل لكنك بحاجة للراحة. وحين تأخذين الطفلة إلى المنزل لن تحصلي على هذه الراحة.. لفترة على الأقل، سنخبر الطبيب بمكان إقامتنا. لنتناول شيئاً ما في هذه الأثناء.

بعد مرور ساعة وتناول عشاء خفيف، حجز لهما كول في فندق مواجه للمستشفى.

قالت راشيل: «لم أنزل في فندق من قبل. كان أبي يعتبر ذلك تبذيراً».

لم يشك كول في أن هذه هي طريقة تفكير هويت، وقال: «حسناً،

ليس المكان الأفخم في المنطقة لكنه جميل».

أثناء رحلاته الكثيرة أقام في مثل هذه الفنادق أكثر مما يود أن يتذكر. أدخل البطاقة لتعرف راشيل كيف تفتح الباب ثم أدخلها وأضاء النور على غرفة بسريرين وخزانة وطاولة وتلفزيون.

نظرت في أرجاء المكان واسترقت النظر إلى الحمام الصغير قائلة: «إنها جميلة».

وضع كول حقيبتها على أحد السريرين: «سوف تشعرين بالراحة هنا، سأكون في الغرفة المجاورة إذا ما احتجت إلي».

ثم توجّه إلى الباب الذي يفصل بين الغرفتين وأضاف: «لا تترددي في مناداتي».

لكنه صلّى ألا تفعل، فقد سبق أن كسر الكثير من القواعد المتعلقة بتورطه في المسألة.

شعرت راشيل بالاستغراب والحياء فكول باريش ليس سوى شخص غريب بالنسبة لها وهي لم تعتمد في حياتها على رجل آخر كما تعتمد عليه، كما أنها لم تتعرّض لموقف مثل هذا قط من قبل. ها هي الآن وحدها مع رجل غريب في غرفة فندق، واحمرّ وجهها للفكرة. أمور كثيرة تغيّرت في الأيام القليلة الماضية وحياتها الآتية لن تكون كما في السابق مطلقاً. وقالت: «لا يمكنني أن أعبر لك عن شكري بما يكفي، وملازمتي طيلة الوقت وكل ما فعلته، سأرد لك الجميل».

قال وهو يفتح الباب: «ما من مشكلة. نامي قليلاً راشيل».

ثم خرج قبل أن يتسنى لها أن تقول المزيد.

همست وهو يقفل الباب وراءه: «وأنت كذلك..».

نظرت من حولها مجدداً. بدا الصمت المخيّم على المكان ثقيلاً وطافت موجة مشاعرها على وجهها وانسكبت مثل دموعها. لكنها في النهاية

استلقت ونامت.

في غرفته، خلع كول ملابسه وتوجه إلى الحمام. فتح الماء ونزل تحته ليشعر ببرودته علّ المياه الباردة تجعله ينسى.. مجدداً. سلّم رأسه للمياه يحارب الذكريات، وكل المشاعر المرافقة التي تهدّد بإخضاعه.

اختنق وهو يرغب في تذكّر الطفل الذي أحبه لكنه لم يشأ استعراض الماضي. إلاّ أنهما أمران لا يمكن فصلهما إذ لا يستطيع استعادة ذكرى الطفل من دون أن يفكر في الماضي كله.

اغتسل كول بسرعة وخرج من الحمام. وبعد أن ارتدى ملابس نظيفة وجينز دخل غرفة النوم حيث قرر أن يشاهد التلفزيون ليتسلى قليلاً. مشى نحو الطاولة ليجلب آلة التحكم عن بُعد ورأى الميدالية الصغيرة التي ثابر على حملها على مدى الأشهر القليلة الماضية. تلك الميدالية التي كانت معلّقة يوماً على سرير طفله ناثان الذي لم يحظَ يوماً بفرصة النوم فيه.

شعر بالانقباض المعتاد في صدره، وبألم يعتصر قلبه ويضيّق أنفاسه. كان يرحّب بالألم الجسدي فهو يستحقه. وفرك الميدالية بين أصابعه فهي تذكره دوماً بما خسر ولن يتمكن من استعادته يوماً.

سمع صوتاً خافتاً لفته. أصغى وأدرك أنها تبكي في الغرفة المجاورة. واعتبر أن الأمر جيد لأنها تنفّس ألمها وهو لن يتعدّى الآن على خصوصيتها.

بقي عاجزاً عن النوم بعد مضي ساعة. ورغم أنه شغل نفسه بمشاهدة أحد أفلام الحركة إلاّ أنه لم يستطع أن يمتنع عن الاستماع إلى ما يجري في الغرفة المجاورة. كانت هادئة وشعر بالامتنان لأنها نامت.

كان قد غط في النوم حين سمع أصواتاً مخنوقة لكنها قوية جداً بحيث لم يستطع تجاهلها. نهض وسار نحو الباب الملاصق وفتحه وهو يناديها

باسمها.

لم يتلقَّ أي إجابة. رآها ممدّدة على السرير بملابسها القطنية البيضاء التي تظهر ساقين طويلتين رائعتين. وانتابته موجة مشاعر غريبة فسارع إلى النظر إلى وجهها وهي تعتصر الوسادة وتبكي. اقترب منها وجلس على حافة السرير وناداها باسمها لكنها لم تجب.

وأخيراً لمس كتفها فانتفضت شاهقة.

همست اسمه بصوت أجش.

تلاقت نظراتهما فرغب في أن يغمرها ويأخذ كل ما في عينيها من حزن.

- كنت ترين كابوساً.

دفعت خصلة شعرها الطويل المتماوج بيد مرتجفة وقالت بنبرة مرتعشة تصارع للسيطرة عليها: «حلمت أن سارة عادت إلى المنزل وكانت حاملاً لكن أبي طردها، وكنت أركض وراءها أرجوها ألا ترحل. كول لا أستطيع أن أصدق الأمر. لقد رحلت. لطالما تمنيت أن تعود».

لم يخفِ الضوء الخافت خوفها: «كان يمكن لها أن تفعل لكن هذا خيارها يا راشيل. اختارت أن ترحل واخترت أنت أن تبقي في المزرعة. لا يجدر بك أن تعاقبي نفسك على شيء لا حيلة لك فيه».

أخذت نفساً مرتعشاً وقالت: «أتمنى لو كانت الأمور مختلفة».

- ثمة أمور نود جميعاً لو أنها مختلفة، لكن التمني لا يجعلها تحصل كما نشاء.

- لم يتسنَ لي أن أخبرها كم أحبها.

كانت راشيل هويت امرأة قوية لكن أحداث الأيام الأخيرة تهدّ أقوى الأشخاص. وضمها بين ذراعيه يستنشق عطرها الناعم.

أراد يائساً أن يمنحها القوة لكن لم يتبقى لديه شيء منها. كل ما استطاع منحه هو الاتصال الإنساني الذي يحتاجه بقدر ما تحتاجه هي. كان يداعب ظهرها بعد أن طبع قبلة خفيفة على جبينها.

وكذب قائلاً: «سيكون كل شيء على ما يرام».

ظلت يداه تلامسانها حتى هدأت ولامس شعرها يبعده عن وجهها المبلل بدموعها.

- أنت لا تعرف. قبل أن ترحل سارة قلت لها كل الأمور البشعة التي قد تخطر في بال أحد. كنت أحسدها فهي جميلة جداً فيما أنا عادية. كان لديها كل شيء ومع هذا تركتني مع أبي.

- راشيل، لا يمكن أن تتصرفي بكل هذه القسوة من دون سبب. ولا تقولي أبداً إنك عادية الجمال.

رفعت وجهها إليه بعينين متسائلتين جعلتا نبضه يتسارع. وقبل أن يدرك ماذا يفعل شدَّها إليه بقوة وشغف مقنعاً نفسه بأنه مدفوع بالرغبة في طمأنتها وتهدئتها.

اشتدَّت يداه حولها تعانقان نعومتها وحلاوتها. وبادلته الشغف ما جعله يعتصرها أكثر بين ذراعيه وجعلها تتنهد.

مرَّ زمن طويل.. طويل جداً منذ أن رغب في أحدهم على هذا النحو وتاق لقربه إلى هذا الحد. لكن راشيل ليست من النوع الذي لا يمكن التورط معه إلى الأبد فهي تثير فيه الكثير الكثير من المشاعر.

لكن لا، لن يفعل ذلك مجدداً. أبعدها عنه فجأة ليرى عينيها تعكسان ما في أعماقه تماماً.

همست اسمه بحميميَّة وكأنهما حبيبان منذ زمن، فارتعش جسمه كله لكنه أجبر نفسه على السيطرة عليه قائلاً: «آسف ما كان يجب أن أضمك. لقد بالغت».

ثم تحرّك لينهض لكنها رفضت أن يفارقها.

همست: «أرجوك، إبقَ معي، لا تتركني».

جمد كول في مكانه. كان يحتاج للخروج من الغرفة لكن إدراكه لشعورها بالرعب منعه من التحرّك فهو من بين كل الناس يعرف تماماً ماذا يعني أن تكون بحاجة ماسة لأحدهم.

ومن دون أن يقول أي كلمة، شد الغطاء عليها وجلس يهدهدها بحنو إلى أن شعر باسترخائها بين ذراعيه ونعاسها. ابتسم ثم أبعدها عن صدره برقة وبدأ يبتعد عنها رويداً رويداً ويضعها على السرير حين شعر بها تتمسك به مجدداً.

وهمست بنبرة ناعسة: «إبقَ أرجوك».

ابتلع تنهيدة وقال: «حسناً راشيل، لن أتركك».

ثم تمدّد بالقرب منها وألقى رأسه على كتفها. ربما إذا ما استند أحدهما إلى الآخر يبعدان أشباح الخوف ولو لبرهة.

٣ - بحر من الرقة

استيقظت راشيل على مهل، كان رأسها يؤلمها وكأنها تلقت ضربة بين عينيها، وعاودتها ذكريات الليلة الماضية، بدءاً بخبر موت سارة مروراً بالرحلة إلى سان أنطونيو، ورؤية ابنة أختها وعناق كول المحموم انتهاء بنومها بين ذراعيه..

طرفت بعينيها وفتحتهما لتجد رجلاً ينام في سريرها. ليس هذا وحسب بل بجانبها ويده ملقاة عليها.. جمدت وأجبرت نفسها على التنفس بهدوء إذ بدأت بشرتها تقشعر من لمسته.

يا إلهي ماذا عليَّ أن أفعل؟

استلقت من دون حراك تستمع إلى أنفاس كول الهادئة. لم يبدُ عليه الانزعاج من الوضع. لعله اعتاد هذا فهو رجل وسيم جداً.

لم يسبق لراشيل أن استيقظت بقرب رجل. لطالما حلمت بشخص مثل كول باريش يقتحم حياتها الوحيدة لكنها لم تكن من النوع الذي يستطيع إجباره على البقاء.

أغمضت عينيها تنعم بالشعور بالذراعين القويتين، لكنها تعلم أنها لا تستطيع الاعتماد على هذا الرجل. لقد سبق أن فعل لها الكثير، وكلاهما لا يرغب في زيادة الوضع تعقيداً.

حاولت الابتعاد نحو حافة السرير لكنها لم تنجح، إذ تمتم كول بكلام غير مفهوم وقرّبها عنه.

ابتلعت شهقة مفاجئة بعد أن عجزت عن تجاهل الشعور بقربه.

www.elromancia.com

أغمضت عينيها للحظات تنعم بسعادة الدفء. ليساعدها الله، لطالما رغبت في أن تعرف ما يعنيه الشعور بقرب هذا الرجل لكن المنطق عاد يغلبها فدفعت يده عنها بسرعة.

تمتمت اسمه وجلست في السرير، فانتفض جالساً وهو يفرك عينيه، وبعد أن نظر إليها قفز من السرير وكأنه يشتعل وقال: «ما الأمر يا راشيل؟ قولي لي إن شيئاً لم يحدث..».

قاطعته تقول: «كلا، لم يحدث شيء أبداً».

بدا مرتاحاً مما خيّب أملها. وقال: «آسف، كنت أنوي تركك بعد أن تنامي، لكني نمت أنا أيضاً على ما أظن».

قالت تملّي نظرها من كتفيه العريضتين: «أظنّ أن كلينا كان متعباً..».

بدأ يضرب الأرض بخطوات متوترة ويقول: «هذا لا يمنحني الحق في استغلال الوضع».

لكنها أصرّت: «لم تفعل. دعنا نكف عن التحدث بالأمر الآن».

ووقفت راشيل ثم أضافت: «علينا العودة إلى المستشفى».

التقت نظراتهما وقال يحدق فيها بعينين ناعستين مغريتين: «سأكون جاهزاً خلال ربع ساعة».

وبعد لحظة صمت أردف: «ما عليك سوى أن تطرقي الباب عندما تجهزين. سنتناول الفطور ثم نتوجه إلى المستشفى».

دخل الغرفة الملاصقة وأقفل الباب وراءه. تنفّست الصعداء متسائلة ما إذا كانت ستستطيع مجدداً النظر إلى كول من دون أن تفكر في عناقه ولمسته لها.

لقد عانقها بشغف. المرّة الوحيدة التي عانقها فيها أحدهم كانت في الثالثة عشرة من عمرها وقد فرّ بعدها بيلي مايكلز كاللص.

في تلك الأثناء لم يثر العناق فيها أي مشاعر. ولم تحظَ راشيل منذ ذلك الوقت بفرصة تكرار التجربة، فوالدها لم يكن يسمح بمجيء أي شبان إلى المزرعة، ولم يتسنّ لها في ما بعد الوقت للتفكير بوجود رجل في حياتها.

لكن كول باريش كان مختلفاً. منذ وصل إلى مزرعة بار أتش أثار فيها المشاعر. بنظرة واحدة ثاقبة، أحسّت بالحياة تدب في أوصالها. وعناقه الليلة الماضية أيقظ أنوثتها.

هزت رأسها وتوجّهت إلى الحمام. ليس لديها الوقت للتفكير في رجل. كل ما عليها التفكير فيه الآن هو ترتيب شؤون المزرعة وخلق جو عائلي لابنة أختها. فكرة وجود هانا هويت جعلت ابتسامة تملأ وجهها. لقد بات الآن لديها عائلة.

قالت لها الممرضة: «أسندي رأسها دائماً».

أجابت راشيل وهي تحدق في الكائن الصغير بين ذراعيها: «إنها صغيرة جداً».

ضحكت سندي طبيبة الأطفال وهي تقول: «الأطفال ينمون بسرعة. لقد تناولت ابنة أختك رضاعة الحليب هذا الصباح، وأظنها الآن جاهزة لتناول أخرى».

قادت سيندي راشيل إلى كرسي هزاز وأضافت: «ارتاحي هنا».

فعلت راشيل ما طلب منها بتوتر. لم يكن لديها أي خبرة مع الأطفال. فالعجول أمر مختلف..

- ماذا لو..؟

- كفي عن القلق. الأطفال كائنات قوية وقد أثبتت هذه الطفلة ذلك. إنها صلبة بالفعل، وأنا أسميها «البطلة».

ابتسمت راشيل وهي تضع الرضاعة في فمها الزهري وقالت:

www.elromancia.com

«حسناً، آمل ألا تحزني لأني أسميتها هانا».

بدا أن الطفلة نجت رغم قلة خبرة راشيل واستسلمت للنوم في النهاية.

وقبل أن ترحل الممرضة، قالت: «بما أن وجودي لم يعد ضرورياً، سأترككما. يمكن لزوجك الدخول متى شاء شرط أن يرتدي الثياب المعقَّمة».

التفتت راشيل لتجد كول واقفاً خلف النافذة: «ليس زوجي، بل يعمل في المزرعة».

- حسناً، راعي البقر هذا وسيم، ويبدو لي أنه يستحق أكثر من أن يكون مجرَّد عامل في المزرعة.

انتظر كول وراء النافذة. حاول أن يتجاهل صوت الأطفال في الحضانة لكنه انجذب إليهم وهم يلوحون بأيديهم الصغيرة. كانت قوة حناجرهم رهيبة، ولا تصدق.

لم يكن ناثان محظوظاً إلى هذا الحدّ، فرئتيه لم تحتملا بما يكفي. وشعر الألم يتملكه حتى الأعماق فاستدار. أبقى نفسه منشغلاً لوقت طويل لئلا يتذكر، لكن ذكرى الابن الذي ولد ميتاً ظلت حاضرة في ذهنه. عليه الابتعاد من هنا.

سأل ممرضة كانت مارة: «هلا قلت لراشيل هويت إني سأعود بعد ساعة؟».

وافقت فتوجه مباشرة نحو المصاعد. ثمة تفاصيل عليه الاهتمام بها قبل العودة إلى المزرعة، أكثر ما يحتاج إليه هو الهواء النقي ليعيد ترتيب أفكاره.

لكنه يعلم أن ما من شيء قد يشفي قلبه.

أخبر الطبيب راشيل أنه سيسمح بخروج هانا من المستشفى في

الصباح. فهل هي مستعدة فعلاً لتحمل أعباء الاهتمام بمولود صغير وحدها؟

نظرت حولها بحثاً عن كول لكنها لم تره في أي مكان.

وعندما أوصلت الممرضة رسالته، لم تستغرب حاجته لبعض الوقت لوحده. لقد انتظرها خارج المستشفى معظم فترة صباح اليوم السابق. ومن لا يرغب في بعض الهواء النظيف؟ لكن اختفاءه على هذا النحو ظل يزعجها. اعتاد البقاء بجانبها معظم الوقت، وبالرغم من أنها أخبرت نفسها ألا تعتمد عليه إلاَّ أنها تفعل ذلك.

تمتمت في سرّها: «لا تعتادي على الأمر أيتها الفتاة فهو لن يبقى طويلاً بجانبك».

أدركت راشيل أن كول هو الرجل الوحيد الذي استطاعت الاعتماد عليه بالإضافة إلى سي. وها هو يرحل في نهاية الأسبوع.

شغلت راشيل نفسها بالطفلة طوال الساعة المتبقية، حتى عاد الشرطي الذي أخبرها عن سارة ليجعلها توقّع على استلامها لأغراض أختها الشخصية، وليخبرها أن مالك المنزل يحتفظ ببقيّة ملابسها.

بعدئذٍ، أتت بيث نيلي ودعتها لتناول الغداء في الكافيتريا. وبعد أن اختارتا ما تريدان جلستا إلى إحدى الطاولات.

- اظهرت التحريات أنك قريبة هانا الوحيدة التي لا تزال على قيد الحياة. ستكون برعايتك، هذا إن لم تغيري رأيك.

تصارعت مشاعر الإثارة والخوف في قلب راشيل وهي تحاول أن تتناول حساء الطماطم. وتمنّت مجدداً لو أنَّ كول معها وقالت: «كلا، لم أغير رأيي، فهانا ابنة أختي وبدأت أحبها فعلاً وأريد لها أن تعيش في جو عائلي. وسأتبناها ما أن يصبح ذلك ممكناً».

ارتاحت راشيل لابتسامة بيث التي قالت: «يسعدني سماع ذلك.

لكن لعب دور الأم على هذا النحو المفاجىء ليس بالأمر السهل سيما وأن لديك مزرعة تديرينها».

يمكنها تدبر الأمر. أرادت هانا لدرجة أنها قد تفعل أي شيء، وقالت: «لدي من يساعدني. قد أكون جديدة في مجال الأمومة لكني أنوي فعل أي شيء للاحتفاظ بها. وإن لم أنجح في الاهتمام بهانا والمزرعة معاً فسأبيع المزرعة».

ربتت بيث على يد راشيل ووضعت الفوطة على الصينية قائلة: «ستكونين أماً رائعة راشيل. سأمرّ بك بعد بضعة أسابيع لأرى سير الأمور، وإن احتجت لشيء قبل تلك الفترة، فيمكن دوماً الاتصال بي».

- إذاً هل أستطيع أخذ هانا غداً؟

صافحت بيث راشيل ووقفت: «أجل، سأحضر الأوراق اللازمة لتوقيعها غداً صباحاً. أتمنى لك كل الحظ».

وراقبتها راشيل ترحل بابتسامة مودعة على ثغرها.

توقفت بيث عند باب الكافيتريا عندما رأت كول. تصافحا ثم تقدّم من راشيل وقد لاحظ أن بقية النساء في الغرفة ترمقنه بنظرات طويلة. شعرت بدقات قلبها تتسارع ونظراته تبحث عنها.

ابتسم وهو يقترب من طاولتها وقال: «سمعت للتو الأخبار الجيدة».

هزت رأسها: «أظن أن علينا البقاء ليلة إضافية. آسفة لأن هذا لا يدخل في نطاق عملك».

طمأنها بهز كتفيه: «الوقت يسير بطيئاً في المزرعة».

حتى لو كان سي عاجزاً بحيث بالكاد يستطيع النهوض صباحاً، إلاّ أنه قادر على تدبر الأمور أثناء غيابهما.

- اتصلت بسي بينما كنت مع الطفلة. أخبرني أن باد يساعده.

- أنا سعيدة لذلك. يلاقي سي صعوبة في طلب المساعدة من أحدهم لكن منذ إصابته بالذبحة القلبية صرت أقلق من أن يجهد نفسه بالعمل. وبعد أن ترحل أنت..

وتوقفت فجأة عن الكلام ثم عادت لتكمل: «آسفة، أعلم أن ثمة عمل آخر بانتظارك».

- إن كنت تحتاجين إلي فلا مانع من أن أبقى أسبوعاً آخر. وسأعمل على إيجاد من يساعدك.

كان يعلم أن الأمر سيكون صعباً عليه لكن أنّى له أن يتركها الآن مع طفلة صغيرة؟

- لا يمكنني أن أطلب ذلك منك.

- لم تفعلي يا راشيل فأنا عرضت عليك ذلك. لقد تغيرت الأمور وعليك أن تهتمي بالطفلة وليس بالمزرعة.

- أقدّر لك ذلك أكثر مما تعلم. كنت قلقة مما سيقوله المحامي بشأن هانا. ليس للأمر أي أهمية طالما أني سأستلم زمام الأمور في غضون أسابيع.

ابتسم مجدّداً وقال: «علمت أن عيد مولدك هذا سيكون مميزاً».

- الأمر الوحيد الجيّد فيه هو أني سأتمكن من إدارة أمور المزرعة على طريقتي من دون العودة إلى السيد مونتغومري.

هز رأسه وقال وهو ينظر إلى الحقيبة على الكرسي: «لديك الكثير من الأمور لتقومي بها. وأولها جلب حاجات أختك. أخبرتني نيلي أن الشرطة مرّت من هنا وأخبرتك. ما رأيك لو نقوم بجلبها الآن؟».

حاولت راشيل الاعتراض لكنها أدركت أن ما من مفر: «شكراً كول، أقدّر لك ذلك».

- من الأفضل أن ننتهي من ذلك اليوم قبل أخذ الطفلة.

www.elromancia.com

خرجا معاً من المستشفى إلى شمس النهار الساطعة وتوجها نحو الشاحنة. ساعد راشيل لتصل إلى المقعد واستدار ليحتل مكانه ولاحظت راشيل وجود العديد من الأكياس والصناديق على المقعد الخلفي، وقد كُتب على أحدها كرسي أطفال.

- كول، ما هذه الأغراض؟

ألقى نظرة على المقعد الخلفي وقال: «بعض الأغراض التي ستحتاجها الطفلة عند عودتنا إلى المزرعة».

لم تفكر في ذلك أصلاً لكن من الواضح أنه فعل.

- وهل اشتريت كل هذا بنفسك؟

هز كتفيه وهو ينطلق: «صدقيني هذا ليس كل ما تحتاجينه. لكني رأيت أنك قد ترغبين في انتقاء الملابس».

- كول.. كيف عرفت ماذا تنتقي؟

حدّق فيها طويلاً ثم قال في النهاية: «كاد يكون لي ابن».

ابن كول؟

بعد مضي ساعتين وبالرغم من شرودها خلال الرحلة إلى البيت الذي شغلته سارة لجلب أغراضها وهي حقيبتين كبيرتين وصندوقين، بقي صدى كلمات كول يتردد في ذهنها، ابن..

هل كان كول باريش متزوجاً؟ فكرت في عناقهما الليلة الماضية ونظرت من خلال الزجاج أمامها. شخص وسيم مثل كول لا بد أن يكون لديه امرأة تحبه. وشعرت للمرّة الأولى أنها مرغوبة، شعرت أنها امرأة.

فجأة، أوقف كول الشاحنة وانعطف وأصدرت العجلات صريراً قوياً وتشبثت راشيل بالمقعد.

- ما الخطب كول؟

استدار نحوها قائلاً: «لا أدري راشيل، لِمَ لا تخبريني أنت؟ تصرفت معي في الساعات القليلة الماضية وكأني شخص غريب الأطوار. إن كان الأمر يتعلق بما جرى بيننا الليلة الماضية فقد سبق واعتذرت».

- أعلم ذلك ولم يكن الذنب ذنبك على أيّ حال فأنا من طلب منك عدم الرحيل..

واشتبكت نظراتهما ما جعلها تتنفس بصعوبة.

- إن الأمر يتعلّق بما قلته.. عن ابنك.

رأت الألم يتصاعد من أعماقه وتمنت لو أنها تستطيع سحب كلامها.

- لم أكن أباً يوماً، لم أحظ بتلك الفرصة، ولد ابني قبل أوانه ولم ينجُ.. كما لم ينجُ زواجي.

لم تعرف ماذا تقول لتهدئته فمدَّت يدها ولمست ذراعه، شعرت به يتوتر من لمستها لكنه لم يسحب يده فقالت: «آسفة كول لا بد أن الأيام الماضية كانت صعبة بالنسبة إليك إذ اضطررت لأن تعيش الماضي بكل تفاصيله».

حدق في يدها على ذراعه وقال: «ولم يكن الأمر سهلاً عليك».

هزت رأسها وعادت بالذكرى إلى العناق: «لكنك كنت معي ووقفت بجانبي، وأريد أن أقف بجانبك..».

تنشق كول الهواء إلى رئتيه اللتين شعر أنهما خاليتان تماماً من الهواء وكافح للبقاء بعيداً عنها لئلا يذوب بين أحضانها، وينسى نفسه في بحر رقتها، لكنه قال غير قادر على تقديم المزيد: «احذري راشيل، كلانا سريع التأثر في هذه الفترة ولست الرجل الذي يمكنه إغراقك بالوعود.. فحين يأتي الوقت سأرحل».

- لم أطلب منك وعوداً.

تأمّل كول عينيها البنيتين المشعتين وشعر بجدران الجليد حول قلبه تذوب. انحنى قليلاً يتنشق عطرها الفريد وتلك الحلاوة البريئة النقية التي بدت فجأة مثيرة ومخدرة في آن.

كل ما اشتهاه هو ضمها بين ذراعيه والشعور بها وهو يعانقها بجنون. المشكلة الوحيدة هي معرفته أصلاً أنه لن يشبع منها أبداً.

فجأة نظر من النافذة إلى الزحمة قائلاً: «تستحقين أكثر من هذا راشيل، لن يفيدك شخص مثلي.. عابر سبيل».

رفعت ذقنها وقالت بصوت ملؤه العاطفة: «لا أحتاج رجلاً يمنحني منزلاً كول. ما يهمني الآن هو تربية ابنة أختي. المسألة هي أني أعرف تماماً معنى الوحدة... سأرث قريباً المزرعة وأضع يدي على الأموال، وسأتمكن من دفع المزيد لك.. هذا إن قررت البقاء طبعاً».

للمرة الأولى منذ وقت طويل، أراد كول أن يقبل ما تعرضه عليه لكنه قال لها: «سبق وقلت لك إني باقٍ بضعة أسابيع إلى أن تجدي شخصاً آخر، لكن عليّ الرحيل، صدقيني راشيل.. هذا أفضل للجميع، فعاجلاً أم آجلاً سينتهي بي الأمر إلى أن أخذلك. كل ما أستطيع تقديمه هو بضعة أسابيع فقط».

شرعت في الكلام لكنها ترددت وقالت: «وسأستغلها كول. أشكرك على المساعدة في إحضار حاجيات أختي وعلى شراء أغراض الطفلة هذه».

- كان الأمر سهلاً. الصعوبة كلها تكمن في الاعتناء على مدار الساعة بطفل حديث الولادة.

عند الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي أصبحت راشيل الوصي الرسمي على ابنة أختها. وستبدأ معاملات التبني بأسرع ما يمكن لكنها الآن ستأخذها معها إلى المنزل. لم يكن ذلك ما خططته لأمومتها، لكنها

أحبت الطفلة.

هذا ما وعدت به سارة وهي تقف عند قبرها مع هانا النائمة في العربة بقربها. كان كول قد وضع أزهاراً زهرية على العشب المقصوص حديثاً واختفى ليمنح راشيل بعض الخصوصية لتودع أختها.

قدمت راشيل الكثير من الوعود لأختها، أهمها هو أن تحب وتربي هانا كما لو أنها ابنتها. ومسحت دموعها ورفعت الطفلة ومشت نحو الشاحنة، نحو كول.

ظل كول يقود الشاحنة إلى أن احتاجت الطفلة للطعام وتغيير حفاظها.

لحسن الحظ، نامت هانا معظم الطريق وقد ساعدت الموسيقى الناعمة على تقصير المسافة الممتدة أمامهما. أبقيا حديثهما بعيداً عن الأمور الشخصية فتكلما عن شؤون المزرعة فقط. وأخيراً، وعند حلول المساء وصلا إلى مزرعة بار أتش.

لم يسبق لراشيل أن أحبت الديار كما أحبتها في هذه اللحظات.

على الرغم من البناء القديم الذي يحتاج للدهان، كان الأساس متيناً، وابتسمت لرؤية حديقة الخضار بجانب المنزل وأزهار البنفسج التي زرعتها عند العتبة.

كان هذا المكان الذي تنتمي إليه وكذلك باتت هانا.

أوقف كول الشاحنة عند الباب الخلفي للمنزل قائلاً: «ها قد وصلنا».

أجابت وهي تنظر إلى هانا تصحو من نومها: «أجل في الوقت المناسب. تحتاج لأن تتناول طعامها».

- خذيها إلى الداخل وسأحمل أنا وسي بقية الأغراض.

أومأت راشيل لرئيس العمال الذي ما لبث أن ضمها إليه قائلاً:

«أهلاً بك في المنزل مجدداً».

ابتسمت راشيل: «تسعدني العودة».

ومن ثم سمعا بكاءً خفيفاً في المقعد الخلفي.

- يبدو أن المقيمة الجديدة تعلن عن وجودها بيننا.

فتحت راشيل الباب الخلفي وفكّت الحزام حول العربة قائلة: «من الأفضل أن نعتاد على ذلك فهانا لا تخجل من إعلامنا بما تريد».

- حسناً إذاً! احمليها إلى الداخل كي أراها.

دخلت راشيل إلى المطبخ العتيق ذي الخزائن شبه المهترئة والأرض المفشرة التي لم تبدُ لها سيئة جداً. حتى أنها سرّت لرؤية إناء الحساء القديم على الطاولة.

- أرسلت ماري العشاء مع باد حين أتى ليساعدني على القيام بالأعمال.

- هذا لطف منها.

بات صراخ هانا أكثر إصراراً وحاول سي تهدئتها لكن من دون فائدة.

دخل كول المطبخ حاملاً معه كيس الحفاظات فشكرته وحملت راشيل الحفاظ والفوط المعطّرة إلى غرفة الجلوس. وكانت قد انتهت للتو من مهمة تغيير الحفاظ حين دخل كول حاملاً قنينة الحليب الدافىء.

حضنت هانا بين ذراعيها ووضعت القنينة في فمها، وساد الصمت. قال سي وهو يجلس قبالتها على المقعد: «يا إلهي! كم يمكن أن تصدر من ضجيج لمجرّد الحصول على قنينة حليب».

- آمل أن تتحسّن الأمور لاحقاً.

لكن راشيل لم تكن واثقة مما تفعل. وقال سي مبتسماً: «ساعدني باد في إنزال سريرك الصغير من العليّة ووضعناه في الغرفة المقابلة

لغرفتك، كما جلبت ماري بعض ملابس الأطفال».

تأثرت راشيل فوضعت القنينة على الطاولة ورفعت هانا وأخذت تربت على ظهرها برفق قائلة: «شكراً لك يا سي، هذا لطفٌ منكم جميعاً».

- على الرحب والسعة. كما أحضرنا نوعاً من الأسرّة يشبه السكّة..

قاطعه كول قائلاً: «عربة أطفال».

نظر إليه رئيس العمال بريبة وسأله: «كيف علمت؟».

وقبل أن يتمكن من الإجابة هبت راشيل تقول: «تعلّم كلانا الكثير عن الأطفال. حين كنت في المستشفى اشترى كول بعض الأغراض لهانا».

- حسناً هذا لطف منك.

مشى كول نحو الباب قائلاً: «الأطفال يحتاجون لأشياء كثيرة. هيا سي هلا تساعدني في جلبها».

ابتسمت راشيل وهي تسمع غمغمة الرجلين وهما يدخلان ويخرجان.

ألقت نظرة على ابنة أختها النائمة وقالت لها: «أهلاً بك في منزلك هانا، أهلاً بك في منزلك».

لم يمانع كول أبداً في العيش في منزل للعمال. مضى على وجوده في أحد منازل عمال مزرعة بار أتش أكثر من ثمانية عشر شهراً وقد كانت أفضل من سواها بكثير.

كان لديه غرفة صغيرة أقام فيها في الأشهر القليلة الماضية وقد بدت مناسبة ومريحة نوعاً ما إلى أن أمضى الليل وهو يضم راشيل بين ذراعيه.

www.elromancia.com

أطلق كول شتائم غاضبة وهو يخرج من غرفته ويرتدي سروال الجينز. كان يعلم أن الوقت تجاوز منتصف الليل لكنه لم يستطع النوم. وقف قرب النافذة ونظر إلى المنزل فرأى ضوءاً خافتاً في الطابق الثاني وفكر في أن راشيل تطعم الطفلة.

ومن قلب السكينة سمع صراخ الطفلة ورأى طيف راشيل تحملها وتسندها إلى كتفها وتتمشى بها.

هانا ويت طفلة حادة الطباع. ابتسم محاولاً كبت ألمه والذكريات التي شغلت رأسه وعلا صراخ الطفلة أكثر فأكثر فتساءل ما إذا كانت تعاني من خطب ما. وهز رأسه بعد أن خطر له أن لا فكرة لديه عن التعامل مع الأطفال تماماً كراشيل. عاد الطيفان يمرّان أمام النافذة وبدأ كول يميل إلى إمكانية وجود خطب ما. انتعل حذاءه والتقط سترته عن الكرسي وخرج متوجهاً عبر الحديقة نحو المنزل.

عند أعلى السلالم، كانت راشيل تقاوم الرعب لكن ما من شيء أوقف صراخ هانا. كان جسمها الصغير متصلباً وصراخها مدوياً. راحت تتمشى بها وتربت على كتفها محاولة تهدئتها لكن سدى.

وفجأة سمعت اسمها. إنه كول يناديها!

ناداها مجدداً من القاعة: «راشيل، هل أستطيع الدخول؟».

- تفضل أرجوك.

أطلقت تنهيدة عندما ظهر في الباب بسروال الجينز والقميص التي لم يتسنى له الوقت لإقفاله.

- كول، إنها لا تتوقف عن البكاء، أظن أن ثمة خطب ما لعلي أخطأت التصرف ولم أعد أعرف ماذا أفعل.

ومن دون تردّد تقدّم كول وأخذ الطفلة منها. أسند الطفلة التي علا صراخها إلى صدره العاري وبصوت ناعم ومنخفض، أخذ يربت على

ظهرها وهو يهزها قليلاً. وبعد بضع دقائق، تجشأت الطفلة بقوة فابتسم لها كول.

- ينبغي لذلك أن يجعلها تشعر بتحسّن.

غيرت هانا وضعيتها على صدره وغطت في نوم عميق. أما راشيل فمرّرت أصابعها في شعرها وشبكت ذراعيها فوق ملابس النوم الرقيقة. وفجأة تنبهت لحضور كول بشعره الأشعث وسترته غير المرتبة.

عاودتها ذكرى وجودهما في تلك الليلة معاً في الفندق، وتفاجأت لشعور الحميمية الذي اكتسحها وهو يحمل الطفلة بين ذراعيه.

- أين تريدين وضعها؟

طرفت بعينيها وسألته: «ماذا قلت؟».

- الطفلة. هل تودين وضعها في العربة؟

- أجل، من فضلك.

وضع كول الطفلة برفق وتراجع خطوة بينما وضعت راشيل الغطاء فوقها. يجدر به الرحيل، لكنه لم يتمكّن على ما يبدو من الكف عن مراقبة راشيل مع الطفلة. وعلى الرغم من محاولته البقاء بعيداً عن هانا إلاّ أنها مدّت على ما يبدو يدها الصغيرة إلى قلبه حين حملها وأخذته. أخذ نفساً عميقاً ونظر إلى راشيل.

هي أيضاً كانت تسبب له مشكلة.

- هل تظنّ أنها ستظل نائمة لما تبقى من الليل؟

هز كتفيه مدركاً أنها خائفة قليلاً من البقاء وحدها مع الطفلة وقال: «ربما عليك أن تحصلي على قسط من النوم أنت كذلك بينما هي نائمة».

هزّت راشيل رأسها موافقة لكنها لم تتحرك وقالت له أخيراً: «شكراً مجدداً على مساعدتك».

- لا مشكلة. وتذكري أنه ليس عليك سوى أن تهتمي بالطفلة. سي

www.elromancia.com

وأنا سنهتم بالقطيع وشؤون المزرعة.

- أكره أن أحمّلك كل هذا العبء.

- لست تفعلين، إنه عملي. عمت مساءً راشيل.

استدار وهرب. كان من السهل جداً أن يبقى ويدعها تنام مستندة إليه. لطالما كان من هذا النوع من الرجال، لكن ليس بعد الآن. ليس منذ أن خذل أهم شخصين في حياته وهذا ما لن يسامح نفسه عليه أبداً.

٤ - عرض مغرٍ

كانت الليلة الأولى طويلة جداً بالنسبة لراشيل إذ استمرت حتى منذ الرابعة فجراً عندما تحركت هانا وتقلبت، وتمكنت راشيل من تهدئتها هذه المرة لكنها ظلّت صاحية لسبب مختلف.

كول!

لم تستطع راشيل محو صورته وهو يحمل هانا بين ذراعيه، ويداه الكبيرتان القويتان تهزان الطفلة الصغيرة برفق على صدره وتهدئانها وتطمئنانها.

أخيراً، ومع حلول الفجر، استغلت نوم الطفلة فاستحمت وارتدت ثيابها المعتادة وربطت شعرها الطويل. كانت تعلم أن نهارها لن يكون نهاراً عادياً.

رفعت الطفلة بحذر من السرير ووضعتها في العربة وحملتها إلى الأسفل، وبدأت بتحضير الفطور.

فتحت هانا عينيها فابتسمت لها راشيل.

- يبدو أنك ستجلسين وتراقبين كيف أحضر الطعام.

لوحت الصغيرة بيديها مطلقة صوتاً مرحاً. وفجأة، ارتجفت راشيل واجتاحتها موجةٌ هائلة من المشاعر واغرورقت عيناها بالدموع، فتلك الطفلة ابنة أختها وعائلتها الوحيدة.

- سارة يجب أن تكوني هنا مع طفلك.

منحت راشيل نفسها بضع دقائق لتنتحب على أختها لكن عليها

www.elromancia.com

الاهتمام بأمور أخرى. وضعت العربة بشكل آمن وانشغلت بتحضير طعام الفطور، وكانت تضع البسكويت في الفرن عندما دخل سي من باب المطبخ الخلفي. همهم وهو يضع سلة البيض التي جلبها على الطاولة: «أفضّل أن أنظّف إسطبل الخيل على أن أجمع البيض. سأتلذذ يوماً ما بقطع أعناق هذه الطيور».

كبتت راشيل ابتسامة وقالت: «سيكون الأمر أكثر سهولة لو أنّك أكثر لطفاً مع تلك الطيور، سي».

وفجأة لفتت هانا الصغيرة الانتباه إليها فنظر سي إليها في العربة وابتسم قائلاً: «حسناً تبدين مشرقة جداً هذا الصباح».

ضحكت راشيل وسألت: «أين كانت كل هذه الحلاوة الليلة الماضية؟».

- كيف كانت الليلة الأولى؟

- ليست سيئة جداً. حالما أهدهدها وتنام تعود وتستيقظ مجدداً.

- وهل بقيت مستيقظة طوال الليل؟

شغلت نفسها بكسر البيض في الوعاء وردّت: «بل نمت قليلاً حتى السادسة، ولو لم يحضر كول لمساعدتي لما عرفت ماذا أفعل».

رفع رئيس العمال العجوز حاجبه وقال: «يبدو أن كول نافع على كثير من الصعد».

التفتت راشيل إلى الطفلة المستكينة في العربة، لن تسمح لإغاظة سي بأن تؤثر فيها وقالت: «كان نافعاً جداً الليلة الماضية، لا أصدق أنك لم تسمع صراخها الذي ملأ المنزل. ظننت أني ارتكبت خطأ ما جعلها لا تكف عن البكاء. وصل كول وهدأها بكل سهولة. ماذا لو لم أكن أصلح كأم؟».

- لم تمض سوى ليلة واحدة وها أنت تستسلمين. ليس هذا من

شيمك.

استقامت في وقفتها: «لست أستسلم، لكني لم أحظ بأي وقت لأتأقلم مع وجود طفلة صغيرة. ماذا لو ارتكبت خطأ ما؟».

تنهّد الرجل العجوز ووضع يده على ذراعها قائلاً: «كلا، هذا مستحيل، راشيل. رأيتك تتعاملين مع العجول والخراف الصغيرة منذ كنت طفلة. لقد ولدت لذلك، كما أني أعتقد أن سارة ستكون سعيدة لأنك تربين طفلتها».

عاد الحزن يخيّم عليها. إن وجود هانا معها يذكرها دوماً بخسارة أختها، وكبتت دموعها: «يبدو الأمر مضحكاً سي لكني أفتقدها. لقد رغبت بشدة في أن أحصل على فرصة ثانية لأكون أختاً. خططت لأن أكلّف تحرياً خاصاً بالبحث عنها ما أن أرث المزرعة لكني أظنني تأخرت بضعة أسابيع».

ضمها بين ذراعيه وقال: «جميعاً لدينا أحلام لا نستطيع تحقيقها يا عزيزتي، لقد خسرت الكثير من أحبائك لكن لديك هذه الطفلة الجميلة وأنا. وما كنت لأحبك أكثر لو أنك ابنتي الحقيقية».

مسحت راشيل دمعة: «أحبك أيضاً سي وهذه الطفلة أيضاً».

لم تتمكن من إخباره كم تتوق لحب يمنحها إياه رجل، وتحوّلت أفكارها مباشرة إلى كول. وعلى الرغم من معرفتها أنها لن تحصل على رجل مثله في حياتها إلاّ أنّ هذا لم يمنعها من الرغبة.

- أنتما أفضل عائلة قد تحصل عليها فتاة مثلي.

تنهد سي وقال: «أشكّ في ذلك، لكنكما عالقتان معي».

- ولا أستطيع أن أفكّر في أي شخص آخر أود أن أعلق معه.

وعانقته بقوة في اللحظة التي فتح فيها كول الباب ودخل.

لم تستطع راشيل منع نفسها من التحديق فيه لتدرك أنها كانت تتطلع

لرؤيته. إنه من النوع الذي يشد الانتباه ليس لوسامته وحسب بل لقوة حضوره. لم يكن مجرّد عامل عابر سبيل في المزرعة. وعلى مدى الأيام القليلة الماضية عرفت الكثير عن هذا الرجل، فعلمت أنه أحب أحداً وأنه مرّ بتجربة خسارة طفله القاسية.. وعلمت بشأن زواجه وطلاقه.

نزع قبعته وعلقها واقترب من الطاولة قائلاً: «صباح الخير».

استدارت راشيل وانشغلت بالعمل: «صباح الخير. الفطور على وشك أن يجهز».

نظر إلى العربة، إلى الطفلة التي سرعان ما تعلّق بها والتي راحت تحدق فيه بعينين زرقاوين وقال:

- لست مستعجلاً، أستطيع الانتظار. كيف أمضيت بقية الليل؟

ابتسمت راشيل: «استيقظت عند الساعة الرابعة فأطعمتها ونامت».

بدأت هانا تتقلب في مكانها وذهبت راشيل إليها مضيفة: «أظن أنها جائعة مجدداً».

علا صراخها أكثر فأكثر فالتوت شفتا كول بابتسامة وقال: «أظن أن هذا ما تحاول أن تقوله لك».

رفعت راشيل الطفلة بينما توجه هو إلى البراد وأخرج قنينة الحليب ليضعها في الماء الساخن وقال:

- ربما يجدر بك إحضار ميكروويف لتسخين الحليب بشكل أسرع.

هدهدت راشيل هانا إلى أن أحضر كول أخيراً القنينة.

سلخ كول نفسه عن المشهد الحميم بين راشيل والطفلة ومشى نحو الموقد واستلم مهمة تحضير البيض، إذ لا يريد الانجذاب أكثر فأكثر إلى هذه العائلة.

بدأت راشيل حديثها: «أشكرك يا كول على مساعدتي بالاهتمام بهانا وبإعداد الفطور، سأحاول أن أكون أكثر تنظيماً غداً».

رفع كول البيض المسلوق من الماء ووضعه في الصحن وحمله إلى الطاولة: «الطفلة تأتي أولاً، أظن أنني وسي نستطيع تدبير أمرنا لفترة».

أحضر سي القهوة وجلس إلى الطاولة: «أجل يا راشيل يمكننا تدبّر أمورنا. سننقل هذا الصباح بروتوس العجوز إلى المرعى الجنوبي على أن نعود في وقت مبكر من بعد الظهر إلا إذا احتجت لوجودنا هنا».

نظرت إلى الطفلة في حضنها لترى أنها التهمت نصف كمية الحليب وقالت: «حسناً، يجب أن نكون بخير. كما أن كول يحمل هاتفه الخلوي، سأتصل إن احتجت لشيء».

أومأ تعبيراً عن موافقته في اللحظة التي سمع فيها طرقاً على الباب الخلفي. سأل سي: «من هذا يا ترى؟».

مشى كول نحو الباب ليرى شاباً نحيلاً طويلاً بعمر المراهقة يقف على العتبة.

- كيف لي أن أساعدك؟

- سمعت أنكم تطلبون عمالاً للمزرعة.

أمعن كول النظر في الولد ليجد أنه بالكاد بدأ يحلق ذقنه. وكان شعره الأشقر طويلاً يصل إلى رقبته وقال: «صحيح نحن نبحث عن عمال».

- أود أن أتقدّم للوظيفة.

- إنه دوام كامل، وستكون في المدرسة.

بدت عينا الولد كبيرتين جداً مقارنة مع ملامح وجهه وهو يقول: «إنها عطلة الصيف، ولن أعود إلى المدرسة. أحتاج للوظيفة وحسب».

وظهرت راشيل فجأة: «من هذا كول؟».

- جوش أوينز سيدتي. أنا هنا من أجل الوظيفة.

تبادلت راشيل النظرات مع كول، وقالت: «حسناً أنت أول

المتقدمين للوظيفة جوش. أدعى راشيل هويت وهذا كول باريش».

وتنحّت جانباً، ثم أضافت: «لمَ لا تدخل لتتحدث؟».

نظر الولد إلى كول ودخل إلى المطبخ بعد أن حصل على موافقته بإشارة من رأسه.

- هذا سي باركس، إنه رئيس العمال. سي هذا جوش أوينز، نحن على وشك أن نتناول الفطور، فلماذا لا تنضم إلينا؟

عبثت أصابع الولد بقبعة راعي البقر المهترئة بين يديه وهو يقول: «لا أريد أن أتطفل آنسة هويت».

- لست كذلك، يمكنك أن تغسل يديك هناك.

بدأ سي حديثه قائلاً: «أوينز، ألم تستأجر عائلتك المزرعة ضمن أملاك دريسكول؟».

هز الولد رأسه وهو يغسل يديه بالصابون: «أجل سيدي، لكن والدي رحل لإيجاد عمل في ميدلاند وأنا هناك وحدي».

سألته راشيل: «وهل تدير كل شيء بمفردك؟».

أخذ كرسياً شاغراً على الطاولة الكبيرة وردَّ: «لا بأس بذلك سيدتي، لطالما تدبرت أمري في الماضي وحيداً».

عندما وضعت راشيل صحن الطعام أمامه، بدت البهجة على وجهه وكأنه يوم عيد.

تباً! من الواضح أن الصبي متروك وقد أدرك كول ذلك منذ البداية، وجلس إلى جانب الولد.

- هل لديك خبرة في العمل في المزارع؟

انتظر الولد إلى أن جلس الجميع إلى المائدة قبل أن يبدأ بتناول الطعام، مجيباً: «أجل سيدي، عملت الصيف الماضي مع أبي».

انتبه كول لنظرات راشيل فقد أدركت هي أيضاً وضع الفتى،

ونظرت إلى كول. لم يكن هناك مجال لعدم توظيفه.

- حتى لو أردنا توظيفك يا جوش، فلا تزال قاصراً وتحتاج للحصول على إذن والديك للعمل معنا.

بهتت عينا الولد فجأة: «لست واثقاً تماماً من مكان وجود أبي، وأمي رحلت منذ حوالى ثلاث سنوات».

لم يكن لدى كول أدنى شك في أن جوش اعتمد على نفسه منذ رحيل أمه. ونحوله الشديد يدل على أنه لا يتناول الطعام بانتظام.

وتكلمت راشيل أخيراً: «أتعلم كول؟ لدينا الكثير من الغرف في منازل العمال من أجل جوش، يمكنه أن يبقى إلى أن نعثر على والده، يمكنني الاتصال ببيث نيلي لأرى ما إذا كانت قادرة على مساعدتي في إيجاده».

كان كول يعلم أن الجدال لن ينفع. وكان ليُدهش لو أنها رفضت طلب الفتى.

- أظنّ أنه لا بأس من المحاولة.

توقّف جوش عن تناول الطعام وقال: «حقاً، شكراً لك سيدي».

- كفّ عن قول سيدي. أنا أدعى كول وهذا سي وهذه راشيل والطفلة النائمة في العربة اسمها هانا.

هزَّ رأسَهُ وردَّ: «أشكرك يا سيد.. كول. لن تندم. سأعمل جاهداً».

- بما أننا في عطلة الصيف، ستتمكن من العمل بدوام كامل. لكن إن بقيت هنا حتى شهر أيلول فستعود إلى المدرسة وستستمر في القيام بمهامك في فترتي الصباح وبعد الظهر.

نظر جوش إلى من حول الطاولة: «لا أحتاج للذهاب للمدرسة».

- بل تحتاج. إن أردت أن تعمل هنا، سنعطيك غرفة لكنك

ستحتاج لشهادة المدرسة الثانوية. الخيار لك، إما أن ترفض أو تقبل.

- سأقبل.

- حسناً، يمكنك أن تجلب أغراضك ساعة تشاء.

نظر جوش إلى راشيل وقال: «إنها في الخارج، وإن لم تمانعي سيدتي سأكون ممتناً لك إن استطعت غسل بعضها».

ابتسمت له: «سأعلّمك كيف تستعمل الغسّالة بعد الفطور، أهلاً بك في بار أتش جوش».

بعد عشرين دقيقة، أنهوا الفطور وأخذ سي جوش في جولة إلى غرف العمال. أما كول فبقي ليساعدها في غسل الصحون، وقال لها: «تعلمين أن هذا الوضع قد يسبب لك مشكلة، ستتحملين مسؤولية فتىً آخر..».

لم تقل راشيل شيئاً بل حدقت فيه وحسب. من يحاول أن يخدع؟ وقالت: «وهل كنت لتتركه يرحل».

تجاهل سؤالها قائلاً: «سأتصل بمركز رعاية الأحداث».

- وتتركه ينضم لجماعات الأحداث كالأيتام. مكان جوش هنا يا كول. يستطيع على الأقل القيام بعملي. إنه فتى جيد.

- أتظنين أنه كذلك لمجرّد أنه ناداك سيدتي؟

- كلا، أستطيع أن أرى ذلك في عينيه، يريد أن يشعر بالانتماء. وعلينا أن نمنحه الفرصة كول.

- اتصلي بالسيدة نيلي وحسب.

أومأت وقالت: «سأفعل ذلك اليوم، لا أستطيع أن أصدّق أن أباً يحمل أغراضه ببساطة ويرحل تاركاً ابنه».

- ثمّة الكثير من الأولاد في مثل حالة جوش.

لم تكشف نظرات كول المتصلبة أي أسرار من ماضيه. لكنها لم

تشكك للحظة في أنه كان يوماً أحد هؤلاء الأولاد، وقال لها: «يبدو أنك توليت للتو مسؤولية فتى مراهق في السابعة عشرة من عمره. إن عائلتك تكبر».

عند حلول الساعة الثالثة بعد الظهر شعرت راشيل بالملل. لم يكن لديها أي أعمال تقوم بها في المزرعة وقد أنهت أعمالها المنزلية منذ فترة طويلة.

قامت راشيل عند الظهر بتحميم هانا ووضعتها لتنام ثم شرعت في تنظيف المنزل وغسل بعض الثياب. كانت تحمل جهازاً يسمح لها بسماع صوت الطفلة عندما دخلت مكتب والدها.

سوف تتولى إدارة شؤون المزرعة بمفردها بعد أقل من أسبوعين، وهي تحتاج لترتيب أمورها. ها هي الفرصة الأولى التي تتسنى لها للتفكير في الأعمال منذ أحضرت هانا إلى المنزل.

كانت رسالة شركة تويتي سينتشوري ويندميل على الطاولة حيث تركتها وقد حان الوقت للاتصال بها ومعرفة المزيد. طلبت الرقم المذكور وانتظرت إلى أن يردّ أحدهم.

نظرت راشيل إلى الاسم الموجود على الرسالة، وقالت: «هل يمكن أن أتكلم إلى السيد دوغلاس ويلز، من فضلك؟».

- دوغ ويلز يتكلّم.

توقفت عن الكلام قليلاً قبل أن تقول: «مرحباً سيد ويلز، أدعى راشيل هويت من مزرعة بار أتش. بعثتم برسالة منذ بضعة أشهر تتعلق باستئجار أرضي في روكي ريدج. هل لا يزال الأمر يثير اهتمامكم؟».

- بالطبع يا آنسة هويت، مع أني فهمت من السيد مونتغومري أنك لست مهتمة بالمشروع.

شعرت راشيل بموجة غضب تثير أعصابها، كيف يجرؤ مونتي على

www.elromancia.com

فعل ذلك من دون استشارتها على الأقل، وقالت: «لن يتكلم السيد مونتغومري باسمي، فمع نهاية الشهر سأصبح المالكة الوحيدة للمزرعة ومن يتخذ كافة القرارات بشأنها. كما أني مهتمة جداً بما لديكم».

كانت المحادثة بينهما ناجحة. سوف يأتي السيد ويلز لزيارة المزرعة. أحسّت راشيل للمرّة الأولى أنها تمسك بزمام الأمور، لكن سرعان ما سمعت صوتاً خافتاً عبر الجهاز لفت انتباهها. وقفت وتوجهت نحو السلالم وطفلتها. لم تعد خياراتها تؤثر فيها وحدها الآن بل في هانا. ومع رحيل كول قريباً، لن يبقى لديها سوى سي ونفسها لتتكل عليها وهذا يخيفها.

- أنت تعرف أن عيد مولد راشيل الأسبوع المقبل. أظن أن علينا إقامة حفلة لها.

كان سي يتكلم من دون انقطاع منذ انطلقوا صباحاً، حتى أن جوش لم يتمكن من التفوه بكلمة، وقد عبّر الفتى عن امتنانه للحصول على وظيفة طوال اليومين الماضيين. لكن مع تقديم بيث نيلي المساعدة بدا أن على الولد البقاء لفترة.

- هل تسمعني؟ كنت أقول إن عيد مولد راشيل في الرابع والعشرين من الشهر الحالي، أيّ يوم الجمعة المقبل. أعرف أن المرأة لا تحب فكرة بلوغها الثلاثين من العمر، لكنه يوم مميّز بالنسبة لراشيل. ستتمكن أخيراً من امتلاك المكان وحدها من دون تطفّل المحامي النكد.

المرّات القليلة التي رأى فيها كول مونتغومري لم تترك لديه أي انطباع جيد وسأله: «هل كان يقوم بأعمال غير شرعيّة؟».

هزّ سي رأسه وأجاب: «لا أستطيع إثبات ذلك، لكن هذا لا يعني أني أحب الرجل. إنه لا يفعل سوى ما يخدم مصلحته، وكانت راشيل تضطر لاستجداء كل فلس».

راقب كول القطيع الصغير يرعى قائلاً: «ربما عليها أن تبيع المكان».

قام سي بتعديل القبعة على رأسه وهما يمشيان بين الأحصنة وقال: «إنها تحب هذا المكان. قد تصبح الحياة أسهل بالنسبة إليها إذا باعت المزرعة، لا سيما مع الطفلة. لكني لا أستطيع تخيّل راشيل تعيش في البلدة».

كما لم يستطع كول تخيلها تعيش هناك أيضاً. وكان يعلم أيضاً أن عليها أن تزيد عدد القطيع في مزرعة بار أتش وقال: «إنها حياة قاسية».

أجاب رئيس العمال: «أجل، لكنها ليست سيئة إلى هذا الحد إذا ما كان لديك من يشاركك بها».

- لديها هانا.

حدق سي في الرجل وقال: «ليس هذا ما قصدته، شخص كراشيل لديه الكثير من الحب ليعطيه وهي بحاجة لشخص يعاملها بشكل مميّز ويحبها كامرأة».

سبق لكول أن آمن بالحب مرّة، وحصل عليه كلّه. كان لديه زوجة وطفل سيولد. لكنه كان أكثر قلقاً على جمع المال. شد رسن الحصان وتوجه نحو المزرعة يفكر في من كانت زوجته يوماً، في جيليان والابن الذي لم يعرفه. فكر في الأخطاء التي ارتكبها وكيف انتهت الأمور بشكل سيء. لعله لم يخلق ليكون رب عائلة أصلاً، لقد عاش طفولة سيئة وبنى عالم أعمال ناجحاً لكنه خسر الأهم. وتلمّست أصابعه الميدالية الموجودة في جيب سرواله.

لقد فات الوقت الآن على استعادة تلك الحياة.

قال سي عندما أشرف على المنزل: «يبدو أن راشيل لديها رفقة. أتساءل ما إذا كان العجوز مونتي؟».

عندما اقتربا أكثر، تمكّن كول من قراءة الاسم الموجود على جانب الشاحنة. إنها شركة تويتي فيرست سينتشوري ويندميل. إذاً، اتصلت راشيل بهم.

نزل سي عن حصانه وقال: «ربما علينا الدخول لنعرف من هناك».

ترجّل كول من دون أن يزيح نظره عن المنزل: «أعتقد أن بإمكان راشيل تدبر أمورها. إن أرادت حضورنا فستعلمنا بذلك».

عندئذٍ، فتح الباب الخلفي وخرج منه رجل وقف على العتبة. كان طويل القامة يرتدي سروالاً أسود رسمياً وقميصاً أبيض. تبعته راشيل وهي ترتدي تنورة سوداء طويلة وقميصاً زهرياً. انحنى الرجل قليلاً نحوها وقال لها شيئاً وضحكا.

وضع سي يديه على جانبيه وقال: «هلا نظرت إلى هذا، يبدو أن لدينا معجباً براشيل».

جمد كول في مكانه. لكن ماذا لو كان الأمر صحيحاً؟ فراشيل امرأة جميلة.

- لديها الحقّ في ذلك. لكني أظن أن الرجل حضر من أجل صفقة ما.

- ولهذا السبب يقف معها عند العتبة وينظر إليها على هذا النحو عندما تبتسم له؟

حدق كول فيهما وكان على وشك أن يقود الحصان إلى الإسطبل حين نظرت راشيل إليهما وأشارت إليهما بالتقدم نحوها. أعطى كل من سي وكول رسني الحصان لجوش ومشيا نحو المنزل، فالتقى الجميع في الباحة.

- سي، كول، أود أن تتعرّفا بدوغ ويلز من شركة تويتي فيرست سينتشوري. دوغ هذان هما سي باركس وكول باريش.

تبادل الرجال التحية.

- تود شركة دوغ استثمار روكي ريدج وتخطط لبناء طواحين.

تكلّم دوغ وهو يلتفت نحو راشيل: «أردت أولاً من راشيل أن تعيد النظر قبل اتخاذ القرار بشأن تنفيذ المشروع. إن كان لديك المزيد من الأسئلة فأرجو أن تتصلي بي في أي وقت. رقم هاتفي الخلوي موجود على الجهة الأخرى من البطاقة».

أجابت راشيل: «شكراً لك، سأفعل».

- حسناً، يجب عليَّ أن أذهب الآن.

صافح راشيل مودعاً لكن كول لاحظ أن فترة المصافحة طالت أكثر مما هو ضروري.

أومأ لكل من كول وسي ثم استدار ومشى نحو الشاحنة قائلاً: «إلى اللقاء راشيل، آمل أن أسمع منك قريباً».

قال سي: «يبدو أنك كنت منشغلة اليوم».

ابتسمت راشيل. كان النهار ممتعاً وقد استمتعت برفقة دوغ. نظرت إلى كول وقالت: «سبق وتكلمنا في هذا قبل ذهابنا إلى سان أنطونيو. الآن وقد أتت هانا أحتاج لأن أضمن مستقبلنا، وقد بدا لي هذا بديلاً مقبولاً».

فتح كول لها الباب وتبعها وسي إلى المطبخ قائلاً: «أود أن أسأل ما الذي جاء هذا الرجل إلى هنا ليقوله؟».

بدت متحمسة جداً عندا ردّت: «شرح لي دوغ كل ما تنوي الشركة القيام به، وأعطاني أسماء بقية المستأجرين في المنطقة. ما لا أفهمه هو عدم اهتمام مونتغومري بالفكرة عند تلقيه الرسالة. لِمَ لم يلفت انتباهي إلى الموضوع على الأقل؟».

- ربما لأن ذلك لن يعود عليه بالمال. لم يقدم لك ذاك الرجل أي

www.elromancia.com

مساعدة.

- سوف يرحل مونتغومري في غضون أسابيع، وأود أن تقرآ عقد الإيجار فرأيكما يعني الكثير بالنسبة لي.

هز سي رأسه وقال: «سأهتم أنا بأمر الأحصنة. أما أنت يا كول فابق وفعل ما تطلبه».

وخرج رئيس العمال من الباب قبل أن يتمكن أحدهما من مناقشته.

أزاحت راشيل خصلة شعر من فوق كتفها ونظرت إلى كول ثم سألته: «هل تود ذلك؟».

- سأقرأه. لكن القرار يعود لك وحدك.

- هل تعتقد أنها فكرة جيّدة؟

- إنها منطقية فذاك الجزء من الأرض لا يصلح كمرعى للحيوانات. كما ستؤمّن الأموال مدخولاً ثابتاً على مدى أعوام. أعتقد أنه يجب أن تراجعي محامي بهذا الشأن.

- لا أريد للويد مونتغومري أن يتدخل في الأمر ولا أعرف محامياً آخر.

لم تشأ راشيل أن تخوض المعركة على غير هدى. كانت تثق بكول، إذ وقف إلى جانبها في أصعب الظروف وعلى الرغم من محاولتها عدم الاعتماد عليه إلاّ أنها فعلت ولا تزال.

- هل تعرف أحداً قد ينصحني بشأن هذا العقد؟

تردَّد كول قبل أن يومىء ويجيب: «لكنه ليس هنا بل في أتلانتا».

أهو المكان الذي أتى منه كول؟

- وهل تثق به؟

هز رأسه ببطء وردَّ: «أستأمنه على حياتي».

- إذاً، أنت لن تمانع إذا ما أرسلته له؟

راقبت المشاعر والانفعالات تظهر إلى تعابير وجهه، لكنها سرعان ما اختفت. أرادت أن تهدىء بال هذا الرجل وتبعث الطمأنينة في نفسه مدركة أنه يحبس مشاعره وألمه في داخله.

- أتلانتا؟ أهو المكان الذي أتيت منه؟

- كان هذا منذ زمن بعيد، لكن لم يعد لدي شيء هناك.

كانت تعلم ما تعنيه الوحدة. لقد خسر ابنه.. وفشل زواجه.

- يمكنك أن تبني حياة هنا، كول.

وقبل أن يتمكن من الإجابة، قطع عليهما صوت هانا الحديث، فتوجه إلى الباب قائلاً: «يبدو أن الأميرة الصغيرة استيقظت كما أحتاج لإنجاز المهمات المطلوبة مني».

أرادت راشيل أن يبقى في المزرعة فهي تهتم لأمره.. كثيراً. وحتى إن كان يشعر بشيء تجاهها، فهو لم يفصح عنه، ومنذ ليلة عناقهما في الفندق لم يقترب منها.

لعل هذا أفضل لكليهما. ومع ذلك أرادته أن يبقى في المزرعة.

لكنها لن تتمكن من منعه من الرحيل. كول باريش يجب أن يتخذ هذا القرار بنفسه.

٥ - بداية جديدة

في غرفته في منزل العمال تناول كول هاتفه الخلوي وطلب رقم ليوك كالاواي. كانت دقات قلبه تصمّ أذنيه وهو يصغي إلى الرنة.

وفجأة، نطق الصوت المألوف اسمه: «كول».

- مرحباً ليوك.

- حسناً، حان الوقت لتخبرنا أنك ما زلت على قيد الحياة. مرّت ستة أشهر.

لم يستطع كول الامتناع عن الابتسام: «يسرني أن أعرف أنك افتقدتني».

وبعد فترة صمت قال: «أفتقدك كالمجنون يا صديقي، لكني قلت لك ذلك قبل أن ترحل».

كان كول يستمع إلى هذه المحاضرة كلما اتصل بشريكه، وقال: «كنت أحتاج للرحيل..».

- لكن هذا لا يمنعني من القلق عليك. كنت أظن أننا أكثر من مجرّد شريكين في العمل.

- نحن كذلك، لكن كل ما في الأمر أني لم أستطع المضي قدماً..

أجاب متنهداً: «أعلم، لقد حاولت جيليان تدمير حياتك. لم يكن لديها الحق في إلقاء اللوم عليك».

- بل لديها الحق في ذلك يا ليوك إذ لم أكن يوماً إلى جانبها.

يعلم كول أن صديقه لم يكن يحب زوجته ولم يعتقد يوماً أن

زواجهما سينجح، وهو بالفعل لم ينجح.

- حسناً، إذا ما انتهى ذلك الفصل من حياتك، فعد إلى الديار.

- لست مستعداً لذلك.

- ماذا عن العمل؟

لقد أسسا منذ عشر سنوات شركة صغيرة للألياف الزجاجية وعملا معاً على مدار الساعة لبناء تلك الشركة. وعلى الرغم من أن ساعات العمل الطويلة تركت أثرها في زواج كول، إلاّ أنه ظن أن سعيه لتأمين مستقبلهما سيجعل جيليان تتفهم. لكنها لم تفعل لا سيما عندما دخلت في مرحلة المخاض قبل الأوان وكان هو بعيداً يقوم ببعض الأعمال.

أغمض كول عينيه يستعيد الذكرى الأليمة عندما عاد إلى المنزل ليكتشف أن أحد الجيران نقل زوجته إلى المستشفى. وعند وصوله إليها كان ابنه قد مات. حتى تلك اللحظة، لم يكن لديه أدنى فكرة عن مدى أهمية عائلته بالنسبة إليه، لكن الأوان كان قد فات.

- ربما يجب أن تجد من يشتري حصتي.

- ماذا تقول يا رجل؟ إنها خطوة جبارة. لِمَ لا تأخذ وقتك في التفكير بالأمر؟

بعد مضي ثمانية عشر شهراً على رحيله، لم يكن كول قادراً على العودة إلى حياته القديمة في أتلانتا، لكن هل يريد فعلاً التخلي عن كل شيء؟ وقال لشريكه: «حسناً، سأفكر في الأمر، لكني أتصل بك يا ليوك لسبب مختلف فأنا أحتاج لنصيحة قانونية».

- هل أنت متورط في مأزق؟

أطلق كول ضحكة وقال: «كلا، لن تصدق مدى سكينة الحياة التي أعيشها».

- يبدو الأمر مملاً.

فكر كول في راشيل وقال: «بالنسبة إليك ربما، لكني أحبها. لدي صديقة تحتاج لمن يقرأ لها عقداً قبل التوقيع عليه، هل يمكنك الاطلاع عليه إن أرسلته لك عبر الفاكس؟».

كان شريكه حائزاً على شهادة في الحقوق وقال: «فقط إن وعدتني بالبقاء على اتصال.. أو على الأقل بأن تجيب على مكالماتي».

- اتفقنا، إن وعدتني بالكفّ عن الضغط عليَّ للعودة.

- اتفقنا.

- شكراً للمساعدة، ليوك.

وأقفل كول الخط. كان ليوك يسانده، لكن الصديق لا يستطيع ملء فراغ خسارة ابنه... وكذلك الفراغ الذي خلّفه فشل زواجه. كان أسهل عليه أن يرحل وحسب.. ويحاول أن ينسى أنه كان يوماً يملك العالم بين يديه ولكنه تركه ينهار.

وفجأة، عادت أفكاره إلى المرأة والطفل في المنزل. كل ما خسره يوماً قريب للغاية منه وفي متناول يده.

لقد عانى بعض الليالي من آلام تفوق كل ألم جسدي. وامرأة مثل راشيل هويت تستحق أكثر من مجرّد رجل لن يتمكن من أن يكون دوماً بقربها يساندها، بغض النظر عن مدى حاجته إليها.

عاد كول ورمى الهاتف على السرير. ينبغي عليه التوقف عن التفكير في الماضي. التفت نحو الباب وإذا به يرى جوش يقف هناك. وقال وهو يهم بالرحيل: «آسف، لم أقصد مقاطعتك».

- لا بأس يا جوش، هل كنت تحتاجني في أمر ما؟

- ليس أمراً مهماً.

- هل أنت متأكد؟

لم يشأ الولد إزعاج أحد. حاول القيام بمهمات تفوق ما هو

مطلوب منه. وتردد قبل أن يقول: «قال سي إن عيد مولد راشيل نهار الجمعة ويريد أن يقيم حفلة لها».

أمضى سي الأسبوع الماضي كله يكلمه في الأمر. وهو يعلم أن العجوز يريد أن يقوم بذلك من أجل راشيل إذ يشك في أنها أقامت حفلة طوال حياتها.

- إنه أكثر من مجرّد عيد مولد بالنسبة إليها، في ذلك اليوم ترث المزرعة رسمياً.

ابتسم جوش وقال وهو يحمل قبعته بين يديه: «أعلم ذلك، سأساعدك بكل ما تحتاجه. لقد كانت طيبة جداً معي، عندما سمحت لي بالبقاء هنا».

هذه هي راشيل التي تعمل دوماً من أجل الآخرين، وبدا التغيير على جوش من جراء اهتمامها، ليس فقط الطعام والملابس وحسب بل بالناحية العاطفية إذ أغدقت عليه جرعات التشجيع.

- هل تكلمت مع سي في موضوع من تريد دعوته إلى هذه الحفلة؟

سحب الولد ورقة مطوية وسلّمها إليه قائلاً: «لديه لائحة بالأسماء. ستتم دعوة بعض الذين تساعدهم والقس وزوجته وباد وماري كامبل».

نظر كول إلى لائحة الأسماء المؤلفة من عشرين شخصاً ثم سأل: «هل قال لك سي من سيحضّر طعام الحفلة؟».

هز جيوش كتفيه ورد: «لا أعلم، كل ما عرفته هو أنه سيحضر قالب الحلوى من البلدة».

فكر كول في أنه يستطيع المساهمة في تحضير أطباق للحفلة فهذا أقل ما يستطيع فعله.

* * *

كان هذا اليوم عيد مولدها وهي تستحق أن تأخذ فرصة. قامت

www.elromancia.com

راشيل ذلك الصباح بإطعام هانا وألبستها ثياباً زهرية جميلة.

لمست رأس أنف الصغيرة قائلة: «تبدين رائعة الجمال هذا الصباح».

أطلقت هانا صوتاً فرحاً وهي تنظر إلى يديها الصغيرتين وقالت لها راشيل وهي تحملها بين ذراعيها وتطبع قبلة على جبينها: «إنه يوم مميز جداً بالنسبة لنا، هل تعلمين ذلك؟ ستصبح المزرعة بأكملها ملكاً لنا.. وسأديرها كما يحلو لي من دون طلب إذن أحد. سيكون الأمر رائعاً، أجل سيكون كذلك. إذاً دعينا ننزل إلى أسفل لنبدأ هذا النهار الرائع».

في الأسفل كان الرجال الثلاثة يتحدثون عن النهار الذي ينتظرهم. وكان عليها أن تعترف بأنها تحب سماع أصواتهم.

ألقت عليهم تحية الصباح فردّوا عليها التحيّة وعادوا إلى نقاشهم.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يتصرفون كما لو أنه نهار عادي آخر، إلاّ أن راشيل تعلم أن سي يحضر لشيء ما. لكنها لم تكن تعلم ما هو بالضبط. مهما كان الأمر فعليها أن تنتظر لتعرف ما هو.

- حسناً، ألن يقول أحدكم شيئاً؟

سأل كول ببراءة مصطنعة: «عَمَّ؟».

- أي يوم نحن اليوم؟

أغاظها سي: «إنه الرابع والعشرين من شهر تموز، لِمَ يبدو لي هذا التاريخ مألوفاً؟»

صفقت يدها على ذراعه وردّت: «هذا لأني ولدت في مثل هذا اليوم».

وضحك الجميع.

فقال لها كول وهو يمنحها إحدى تلك الابتسامات النادرة: «إذاً، عيد مولد سعيد».

وقف سي وضمها إليه: «عيد مولد سعيد راشيل. كنت أفكر في أن نحتفل الليلة، سنحضّر لك العشاء».

تنهدت وقالت: «يا لمطبخي المسكين».

- سيكون مطبخك بخير.

نظرت إليه مشككة: «أنت محق ولن أقلق بهذا الشأن، سوف أذهب إلى البلدة اليوم. لدي لقاء مع محامٍ مميز جداً».

نظر سي إلى كول وقال: «هل تحتاجين لأن يرافقك أحد؟».

هزت رأسها وردت: «كلا، أستطيع تدبر أموري وحدي».

سألها جوش: «ومن سيعتني بالطفلة؟».

- ماري كامبل وابنتها ستأتيان إلى هنا.

- آيمي، أهي آيمي كامبل؟

أدركت راشيل فجأة أن آيمي وجوش في العمر نفسه وسألته: «هل تعرف آيمي من المدرسة؟».

احمرَّ وجهه وهو يهز رأسه ثم قال: «أعلم من تكون لكن لا أظنها تعرفني».

لم تستطع إلا أن تلاحظ مدى اهتمامه بها.

لم يمض على وجود الشاب في المزرعة سوى أسبوعين، لكن التغيرات التي طرأت على شخصيته ملحوظة فقد زاد وزنه بضع كيلوغرامات نتيجة الوجبات الإضافية التي كان يحصل عليها. لكنه كان يعمل بشكل شاق أيضاً. لم تتمكن بيث من إيجاد والده بعد لكن المساعدة الاجتماعية سارعت إلى إنجاز المعاملات الضرورية لبقاء جوش في المزرعة، والآن لم يعد بإمكان راشيل أن تتخيل المزرعة من دونه.

- حسناً، قد تتعرف إليها بشكل أفضل اليوم وتعرّفها بنفسك. هل يمكنكم تدبر أمر الغداء يا شباب؟

www.elromancia.com

طمأنها سي وهو يدفعها إلى الخارج: «سنكون بخير. كل ما يجدر بك فعله اليوم هو الذهاب إلى البلدة والاستمتاع بوقتك».

كانت راشيل تعلم أنهم يحضرون لشيء ما، لكنها ليست واثقة ما هو.. ولم تشأ أن تعرف ما هو أيضاً.

بعد إقناع راشيل بأنها سبق لها أن قامت بتربية أربعة أولاد تمكنت ماري كامبل من دفعها خارج الباب نحو فورت ستوكتون. وبعد أربعين دقيقة، وصلت إلى البلدة لكن الوقت كان لا يزال باكراً على موعدها مع المحامي فقررت أن تتبضع لهانا.

على أيّ حال، ستوقع العقد مع شركة الطواحين والدفعة الأولى مبلغ محترم. لم تفعل شيئاً بشكل رسمي حتى الآن لكنها ستحظى بعد اليوم بمزيد من الخيارات وسيكون المستقبل أمامها.

عند الساعة العاشرة أخذت راشيل نفساً عميقاً ودخلت مكتب لويد مونتغومري. ستستعيد اليوم السيطرة على أمور حياتها. إنها المرة الأخيرة التي ستضطر فيها للتعامل مع مونتي العجوز.

لم تكن تهتم لأمر «مونتي» لكن والدها عهد إليه بكافة شؤون المزرعة وقد آلمها ذلك، فهي ابنته ولا تستحق أن تنتظر كل هذا الوقت للحصول شرعاً على الميراث.

مشت نحو طاولة الاستقبال حيث ابتسمت لها شابة وسألتها: «كيف لي أن أساعدك؟».

- أدعى راشيل هويت وقد أتيت لرؤية السيد مونتغومري.

- لحظة واحدة.

رفعت المضيفة سماعة الهاتف وأخبرته بوجود راشيل. وفي غضون لحظات، ظهر عند باب المكتب رجل متوسط القامة ذو شعر رمادي خفيف وابتسم لها قائلاً: «راشيل، تسرني رؤيتك».

وكانت الابتسامة ذاتها لا تزال مرسومة على شفتيه حين أضاف: «أتخيّل سبب وجودك هنا اليوم راشيل، لكن أولاً، عيد مولد سعيد».

- شكراً لك.

بدأ يضغط زر الاتصال الداخلي وهو يقول: «لماذا لا تسمحين لي باصطحابك إلى مطعم..».

لكنها أوقفته قائلة: «كلا مونتي لا أستطيع. يجدر بي العودة إلى المزرعة فهانا بانتظاري».

- هانا؟

- أعلمتك بموت سارة. ما لم أخبرك به هو أن أختي وضعت مولوداً قبل موتها مباشرة. وهانا اسم ابنتها.

استند في كرسيه إلى الوراء قائلاً: «طفلة! إنها مسؤولية كبيرة».

- أجل، ستكون هانا ابنتي رسمياً حالما أستطيع إنجاز معاملات التبني.

- فهمت.

كانت راشيل تشك في أنه فهم فعلاً ما قالته لكنها قالت: «لذا لا أستطيع المكوث طويلاً. مررت فقط لأرى ما إذا كانت الأوراق المطلوبة جاهزة».

- الأوراق؟

- أوراق نقل الملكيّة من حصتي في الميراث لأستطيع تولي أمور مزرعة بار أتش.

- هذا ما أردت أن أكلمك عنه راشيل. الأوراق والمعاملات ستتطلب بعض الوقت. لكن لمَ لا نترك الأمور على حالها؟ أنا واثق من أن أبيك سيسعده أن نستمر بالعمل معاً.

معاً! لم تحب الفكرة أبداً، بل أغضبتها وقالت بحنق: «اتصلت بك

www.elromancia.com

الأسبوع الماضي لئلا تنسى هذا اليوم. لكنك لم ترد على اتصالاتي. تنص وصية أبي على أن أستلم إدارة مزرعة بار أتش عند حلول عيد مولدي الثلاثين ويصادف ذلك هذا اليوم. أريد أن تنقل الملكية وكافة الأموال إلي».

نظر المحامي إليها وكأنه يحاول ترهيبها وقال: «راشيل، لا تستطيعين إدارة المزرعة بنفسك».

- لا أوافقك الرأي وهذا أمر لا تقرره أنت.

وقفت ونظرت إلى ساعتها مضيفة: «سيد مونتغومري، لديك حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر هذا اليوم لإنجاز المعاملات الضرورية».

- لا يمكن إنجازها بهذه السرعة راشيل.

- بل أظنه ممكناً. وإن لم يحصل فسيتصل بك محاميّ الخاص، ولن تعجبك النتائج.

- لن يكون والدك سعيداً بتصرفك هذا. كانت لديه خطط لهذه المزرعة.. خطط يمكنني مساعدتك على تنفيذها.

- لو أردت فعلاً مساعدتي لفعلت ذلك من قبل.

- آمل ألا تندمي على اتخاذ قرار متسرع كهذا.

- صدقني مونتي، ليس قراراً متسرعاً. أريد فقط ما هو حقي. أراك مجدداً عند الساعة الثالثة.

واستدارت ومشت نحو الباب وهي تصلّي ألا يلاحظ مدى ارتعاشها. وعندما أصبحت في الخارج، أخذت نفساً عميقاً، وشعرت فجأة بالدوار.

لكن مع كل خطوة كانت تحسّ أنها بحال أفضل وأقوى حتى أنها بدأت تستمتع بالنهار وهي تطل على شارع ماين. في الخارج، كان الطقس جميلاً وقد مضت سنوات على قدومها إلى البلدة للاستمتاع

بوقتها وحسب.

لم يكن غيب هويت شخصاً اجتماعياً. كان يحب وحدة المزرعة ولم تجد راشيل أمامها من خيار سوى البقاء معه واتباع نمط حياته.. لكن هذا أصبح من الماضي.

باتت تشعر الآن أنها حرّة. ابتسمت وهي تسير على الرصيف حتى لفت انتباهها صالون تصفيف الشعر. وتلقائياً ارتفعت يدها لتلامس شعرها فهي لم تقصه يوماً وقد أدركت الآن أن طوله يتطلب الكثير من وقتها مع وجود هانا.

مشت نحو الباب ودخلت.

نظرت إليها امرأة ذات شعر أشقر يصل إلى كتفيها وسألتها: «كيف لي أن أساعدك؟».

- أود أن أقصّ شعري.

خرجت راشيل بعد ساعة من الصالون بشعر أقصر لكنه لا يزال طويلاً بما يكفي لتصفيفه كما تشاء وقد وضعت على وجهها بعض الماكياج الخفيف.

ما فاجأ راشيل هو أنها لفتت أنظار المارة جميعاً، سيما الرجال منهم. لم تستطع منع نفسها من التفكير في رأي كول فيها الآن وقد غيرت مظهرها. قد لا تكون لديها خبرة كافية في هذه الأمور لكنها رأت التوق في عينيه وتذكرت عناقه الحميم.

وعلمت أيضاً أن كول من نوع الرجال الذي قد يسبب لها الأذى. بدا أنه غير راغب في محو ماضيه، وغير مبالٍ حتماً بتأسيس مستقبل.. ليس مستقبل دائم على أي حال.

لكن هذا لن يحول دون عملية التحول التي تجري. وقصدت أحد المتاجر الأخرى لشراء تنورة ملونة وسترة وحذاء، وارتدت كل ما

www.elromancia.com

اشترته على الفور. إنه عيد مولدها وهي تريد أن تبدو جميلة.

بعد أن حملت بقية المشتريات إلى الشاحنة، اتصلت للاطمئنان عن هانا. وحين أخبرت ماري أنها لن تتأخر في العودة، أصرت جارتها عليها أن تأخذ وقتها لأنها وآيمي تستمتعان كثيراً برفقة هانا الصغيرة. وافقت راشيل بعد تردد ووعدت أن تكون في المنزل عند الخامسة.

وقبل أن تقرر راشيل كيف تمضي الساعات القليلة المقبلة سمعت أحدهم يناديها فالتفتت لترى دوغ ويلز.

- دوغ، مرحباً.

اتسعت ابتسامته حين جال بنظره على ملابس راشيل وشعرها، وقال: «راشيل، أعجبني مظهرك الجديد».

احمرّت وهي تقول: «شكراً لك، دللت نفسي بشراء هدية عيد مولدي».

- إذاً ما رأيك في أن أدللك وأدعوك على الغداء؟

طرفت بعينيها تفكر في ما إذا كان يواعدها وقالت: «لست مضطراً لذلك..».

- أعلم، لكني أود فعلاً دعوتك على الغداء. إلا إن كنت على موعد مع شخص آخر!

هزت رأسها وقد لاحظت دفء ابتسامته ينعكس في عينيه.

فكرت بقرارها المضي بالمشروع مع شركة تويتي فيرست سينتشوري ثم قالت: «كلا، بل لدي موعد لاحقاً مع محامي كنت أفكر في التحدث إليك على أي حال. راجع محاميّ العقد كما اقترحت، وإن كنت لا تزال مهتماً باستئجار قطعة أرضي.. فنحتاج لمناقشة الأمر».

صارت ابتسامته أكثر اتساعاً وهو يتأبط ذراعها ويقودها على الرصيف قائلاً: «لنتناول الغداء معاً بما أن لدينا مناسبتين للاحتفال».

أحبت ما سمعته. جلّ ما تمنته هو أن يكون كول معها في تلك اللحظات ثم تذكرت أنه لن يتواجد في حياتها لوقت طويل. كيفما نظرت إلى الأمر وجدت أنها حرّة الآن لتفعل ما تشاء.

عند الساعة الخامسة، تكدّست هدايا الضيوف في غرفة الجلوس. وبفضل مهارات ماري كامبل التنظيمية كانت جميع الأطباق التي أحضرها الضيوف مقدمة بشكل مرتب على الطاولة في غرفة الطعام. أما قالب الحلوى فكان مخبأً في المكتب.

كل ما ينقص هو حضور صاحبة العيد.

سأل كول آيمي كامبل وهما يقفان في المطبخ: «هل أنت واثقة من أن راشيل ستكون هنا عند الخامسة؟».

اتسعت عينا الصبية البنيتان وهي تهز الطفلة بين ذراعيها وتقول: «أجل، أخبرت أمي أنها تريد رؤية السيد مونتغومري مجدداً قبل عودتها إلى المنزل».

قال سي: «أراهن أنه سبب لها المشاكل. كنت أعلم أنه سيفعل. كان علينا مرافقتها».

- كلا، أرادت تدبر الأمور بنفسها، تماماً كما فعلت مع عقد الشركة، عليك أن تسمح لها بذلك.

سارع جوش في الدخول إلى المطبخ. ومع أنه كان متأنقاً من أجل الحفلة إلاّ أنّ كول شعر أنه فعل ذلك للفت انتباه آيمي. قال جوش: «لقد وصلت شاحنة راشيل عند المفرق».

فأشار عليه سي بالقول: «حسناً يا بني أعلم الجميع بذلك. وابقوا هادئين إلى أن أحضرها إلى الداخل».

علم كول مدى رغبة سي في أن تجري الحفلة كما خطط لها، حتى أن الضيوف ركنوا سياراتهم خلف الحظيرة لئلا تنتبه راشيل لوجودها.

تفاجأ لشعوره بالإثارة مع فتح الباب الخلفي ودخول راشيل إلى المطبخ. لكنه كان أكثر دهشة لأن المرأة التي رأى مختلفة عن تلك التي رآها في الصباح. فخصل شعر هذه المرأة جميلة منثورة حول وجهها البيضاوي الجميل، وعيناها العسليتان مزينتان بلون خفيف يبرز جمالهما من دون مبالغة. أما سترتها الزاهية فتظهر جمال قوامها.

- مرحباً، كول.

وشعر فجأة بقلبه يحلّق، ويرقص على وقع نغمات رائعة.

- أهلاً راشيل، يبدو أن نهارك كان حافلاً.

أسرعت إلى آيمي تأخذ هانا من بين ذراعيها وتضمها قائلة: «بل كان رائعاً، إلا أني افتقدتكم جميعاً. كيف كانت الصغيرة؟».

اتسعت عينا آيمي وقالت: «كالملاك. كم أحب قصة شعرك راشيل».

- شكراً، فكرت في أن أغير مظهري قليلاً، ظننت أنكم وعدتم بتحضير العشاء.

أومأ كول وقال: «لقد كنّا نفكر بتناول العشاء في غرفة الطعام».

دخل سي وراحت نظراته تتفحصها بابتسامة عريضة ثم قال: «انظري إلى جمالك يا عزيزتي».

احمرّت خجلاً وقالت: «فكّرت في أني بحاجة لبعض التغيير».

وماتت ابتسامته وهو يقول: «يبدو أنه يوم التغييرات الكبرى، هل واجهت مشاكل مع مونتغومري؟».

لوحّت بيدها وردّت: «صادفت بعضها لكنا سويناها كلها. وباتت بار أتش ملكي. سأخبركم التفاصيل لاحقاً، أتطلع الآن لتناول عشاء عيد مولدي».

بدا مؤخراً أن راشيل قادرة على إدارة الأمور بمفردها، وقد جعله

ذلك يشعر بفراغ عميق.

ضحك سي وأمسك بيدها وقادها إلى غرفة الطعام قائلاً: «حسناً، لنذهب».

وفجأة خرج الجميع من مخبئه وصرخ: «مفاجأة».

تسارعت دقات قلب راشيل وهدّدت دموعها بالانهمار عند رؤية الجميع. لقد أتوا كلهم من أجلها، ومن أجل عيد مولدها. عانقت الجميع وهي تحمل هانا بين ذراعيها وشكرتهم لقدومهم.

بدأ الجميع بتناول الطعام فيما ذهبت هي لتحضر طعام هانا. كانت تحتاج لبعض الوقت مع نفسها إذ لم تعتد أن تكون محور الاهتمام.

كانت تطعم الطفلة عندما دخل كول فقالت له: «أظن أن لك يداً في ذلك».

- لقد ساعدنا جميعاً، لكن سي هو الرأس المدبر.

تأثرت بكافة الأمور الصغيرة التي قام بها كول باريش في الأشهر القليلة الماضية، لكنه يحاول دوماً أن يبقى في الظل. إلا أنه لم ينجح بذلك فمنذ وصوله انتبهت راشيل لوجوده.

دخلت ماري إلى المطبخ بينما كانت راشيل تحاول أن تجعل هانا تتجشأ فقالت: «سآخذها بحيث تستمتعين بالحفلة».

أعطت راشيل الصغيرة بتردد وذهبت إلى غرفة الجلوس حيث الجميع.

لم يسمح غيب هويت قط بدخول الناس إلى منزله. ونظرت من حولها تفكر في أن الأمور ستتغير.

ملأ سي الأكواب بالعصير وقال: «راشيل، إنه يوم مهم في حياتك. كوني سعيدة يا ابنتي فاليوم هو البداية».

ثم نادى جوش: «افتح الهدايا».

www.elromancia.com

رأت العلب المغلفة، وتسارعت الأحاسيس في داخلها وهي تقول: «لم تكونوا مضطرين لذلك، الحفلة وحضوركم يكفيان».

قال سي ضاحكاً: «أعتقد أنه يجدر بنا استعادتها».

تناولت راشيل أولى الهدايا التي سلمها إياها أحدهم وجلست على الأريكة قائلة: «حسناً، لم أقصد إلى هذا الحد».

نظرت من حولها لترى كول يبتسم لها فسمعت دقات قلبها في أذنيها.

وفجأة، سمعت طرقاً على الباب الذي فتح ليدخل منه دوغ ويلز حاملاً باقة من الأزهار وهو يقول: «أظن أني وصلت في الوقت المناسب».

- آسفة دوغ، لم أكن أعلم أنهم يقيمون لي حفلة هنا. أيها الحضور هذا دوغ ويلز.

كانت راشيل سعيدة برؤيته لأنه سيشكل جزءاً أساسياً من مستقبلها. ونظرت في أرجاء الغرفة لترى أن الرجل الذي أرادت أن يكون جزءاً من مستقبلها أيضاً اختفى.

٦ - لا أريد سواه

استطاع أن يسمع الأغاني من منزله. ابتسم كول بالرغم من الحالة المزرية التي يعيشها وهو يقف عند النافذة وينظر ناحية المنزل. كانت راشيل تستحق هذه الحفلة والطريقة التي تتغير بها حياتها، فهذا هو التغيير الأول على طريق سلسلة من التغييرات.

كان سعيداً لأجلها. أتيحت أمامها فرص لم تكون متوفرة قبل أشهر، ولعل الأهم هو أنها ما عادت وحيدة. لم تعد كما كانت عندما جاء إلى المزرعة يعرض خدماته فبالإضافة إلى سي صار لديها هانا.. وجوش الذين أصبحوا عائلتها. وربما دوغ ويلز أيضاً فالرجل يهتمّ لأمرها حتماً.

حركت الفكرة شعوراً ما في داخله. أراد أن يفكر أنه ناجم عن رغبته في حمايتها. لكن من يخدع؟ كان يشعر بالغيرة، وليس لديه الحق في ذلك، فليس لديه ما يقدمه لامرأة مميزة مثل راشيل هويت، وهي تستحق الكثير. لكن هذا لا يعني أن يقف ويتفرج على الرجل يغازلها.

ينبغي عليه الرحيل من هنا. ووعد نفسه أن يفعل ذلك الأسبوع المقبل. أجل، سيرحل الأسبوع المقبل.. من أجل مصلحته..

- كول..

أرسل صوت راشيل ذبذبات زلزلت كيانه. التفت ليراها تقف عند باب غرفته والضوء الخافت وراءها يشع وكأنه هالة تحيط بها.

- ماذا تفعلين هنا.. راشيل؟

www.elromancia.com

- جئت أبحث عنك، لماذا غادرت الحفلة؟

أومأ برأسه نحو المنزل قائلاً: «ظننت أن وقت الرحيل حان، لتكوني مع ضيوفك».

- الكل منشغل بتناول الحلوى، جلبت لك قطعة.

ومدت يدها تريه صحناً فيه قطعة من حلوى الشوكولا ثم دخلت الغرفة ووضعته على الطاولة بجانب السرير. عندئذٍ لاحظ أنها تحمل في يدها الأخرى هدية صغيرة ملفوفة، إنها الهدية التي اشتراها لها.

- هل تستمتعين بالحفلة؟

- أجل، لم أقم أي حفلة من قبل، شكراً جزيلاً كول.

- لم أفعل أي شيء. هذه فكرة سي، وماري ساعدت في إعداد الطعام.

كانت راشيل تشعر بالتوتر. عندما اختفى كول من المنزل، ظنت أن حضور دوغ هو السبب ما أضاء بصيص أمل في قلبها فلعله يهتم لأمرها ولو قليلاً.

شدَّت قبضتيها على الصندوق الصغير وقالت: «لطف منك أن تحضر لي هدية».

لم يتحرَّك من مكانه: «لم تفتحيها بعد، قد لا تعجبك».

- طالما أنها منك فستعجبني، ولهذا السبب جئت كي نفتحها معاً.

حاولت راشيل فهم هذا الرجل، لكنه يخبىء الكثير في قلبه. وظنت أن خسارة عائلته منعه من التواصل مع الآخرين.

- هل تمانع؟

سمرها بنظرات عينيه الرماديتين قائلاً: «إنها هديتك في النهاية».

شدَّت الشريط ومزقت الورق الملفوف حول الصندوق المخملي. وفتحت العلبة لتجد قلباً فضياً مترعاً في الداخل. ارتجفت أصابعها

وهي تحمل السلسلة المعلّقة بالقلب.

- إنها جميلة جداً، كول.

- إنها قلادة للذكرى.

وضعت العلبة من يدها وتفحصت القلادة قرب الضوء. عثرت على المشبك فضغطت عليه ليفتح القلب إلى نصفين. وشهقت حين رأت صورتين في الداخل، إحداهما لهانا والأخرى لسارة بعمر المراهقة، وانهمرت الدموع تلقائياً على وجنتيها.

- كول، كيف ذلك؟ من أين حصلت على...؟

هز كتفيه وردَّ: «لقد أخذنا صورة لهانا ووجد سي صورة لسارة».

- أكان هذا عندما أخبرني أنه يريد أن يفتش عن الكرسي الهزاز في العلبة؟

هزَّ رأسه وهو يحاول كبت ابتسامة فضحتها شفتيه الملتويتين وقال: «كانت تلك الطريقة الوحيدة للحصول على صورة من دون أن تعرفي».

- إنها هدية رائعة كول وذكية جداً، سأحتفظ بها دوماً.

اقترب منها خطوة وقال: «راشيل، أعلم ما تعنيه لك أختك. وفكرت أنك بهذه الطريقة ستبقينها قريبة..».

كبحت المزيد من الدموع لكن دمعة وجدت طريقها بسرعة إلى خدّها، فمسحتها. لمَ عليه أن يكون بهذا اللطف؟ مهما حاولت لن تتمكن من عدم الوقوع في حب هذا الرجل.

- لقد أحببتها. هلا تضعها لي؟

وأعطته إياها واستدارت وهي تزيح شعرها جانباً.

شعرت أنها انتظرت وقتاً طويلاً تتساءل ما إذا كان يرفض طلبها، لكنها شعرت به في النهاية يقترب منها وأحسَّت بأنفاسه الدافئة على عنقها، ولمسة أصابعه على بشرتها. وسرت قشعريرة في أنحاء جسمها.

لم يتراجع إلى الوراء كما لم تتحرك هي من مكانها حين قال: «ها هي، انتهينا».

بدا لها أن حرارة جسمه تخترقها، تتغلغل في أعماق روحها، وتاقت للمسته ومداعبته، وشعرت بغصة.

- لم تبدِ رأيك بشعري.

- شعرك جميل كيفما كان، لكني أحببت المظهر الجديد.

استدارت تستجمع شجاعتها وتتمسك بخصلة شعرها وكأنها خلاصها وملاذها الوحيد.

- كل الرجال في الحفلة كانوا يراقبونك أيضاً.

ابتلعت ريقها وقالت: «لا يهمني ما يفكر فيه الرجال الآخرن.. فقط أنت».

بحثت عيناه عن عينيها بينما مدَّ يده يلامس وجهها قبل أن يتراجع ليقول: «راشيل، يجدر بك ألا تقولي ذلك، تعلمين أنني راحل».

علقت أنفاسها في حنجرتها. مضت أسابيع لم يذكر فيها أمر رحيله وظنت يحدوها الأمل أنَّه غيَّر رأيه.

- لقد اختلفت الأمور الآن يا كول، ويمكنني أن أزيد أجرك.

- تعلمين يا راشيل أن الأجر ليس سبب رحيلي.

- وهل أنا السبب؟

لم يكن بإمكان كول أن يسبب المزيد من الأذى لراشيل. فهو يهتم لأمرها أكثر مما أراد أن يشعر به تجاه أي امرأة أخرى. إنها توقظ فيه الأحاسيس والرغبة.

- لا، لست السبب إطلاقاً. أنا بحاجة للتغيير وحسب.

- يمكن لبار أتش أن تصبح موطنك.

تردّد وقال: «لم أعد أريد موطناً، يعجبني الوضع هكذا».

كان يكذب.

وضعت يدها على صدره وسألته: «ماذا عن حاجتك إلى شخص ما؟».

وشعر بحرارة كفها تخترق سترته بسهولة.

- أحاول ألا أحتاج أحداً.

- يستحيل ألا نحتاج شخصاً آخر في حياتنا. كان أحدنا بحاجة للآخر تلك الليلة في سان أنطونيو.

كانت نبرتها متقطعة وعيناها تبحثان عن عينيه. لم يعجبه مطلقاً أن ترى فيهما الكثير. وسألته:

- هل شعرت بشيء ما تجاهي تلك الليلة؟ شيء أعمق وأكثر جرأة؟

أخذ كول نفساً عميقاً وردَّ: «تباً راشيل، يجدر بك ألا تطرحي مثل هذا السؤال على رجل».

- لماذا؟ أردت أن أعرف ما شعرت به تلك الليلة وحسب.

زفر طويلاً من دون أن يخفف عنه ذلك وقال: «بالطبع فعلت، فأنت امرأة جميلة».

كافأته بابتسامة خجولة ثم قالت بعينين متسعتين: «وأنا لدي ما أعترف به. لم أشأ أن تكف عن عناقي أو أن تفلتني من بين ذراعيك، وهذا ما أريده الآن، كول».

تجمَّد الدم في عروقه وهو يقول: «ما تطلبينه ليس حكيماً».

- لماذا؟ هل أنت خائف من مجرّد عناق بسيط بمناسبة عيد مولدي؟

نظر في عينيها المشعتين ثقة ورغبة قائلاً: «هذه فكرة سيئة راشيل».

- لا، ليست كذلك. لم يعد عمري ثمانية عشرة سنة كول، فأنا امرأة ناضجة تعرف ما تريد.

كانت تعذبه بكل بساطة. حاول إقناع نفسه بأنه مجرَّد عناق صغير

لن يؤذي لكنه كان على يقين من أنه لن يرغب في التوقف عند مجرّد عناق. وقبل أن تمنحه أيَّ فرصة شدته إليها وقالت متنهدة: «لا بأس، سأعانقك أنا إذاً».

وقفت راشيل على رؤوس أصابعها ومالت نحوه فاشتم رائحة عطرها وهي تلف ذراعيها حول عنقه وتذهب بكل منطق لديه. وابتعدت للحظة وحدّقت فيه بتمعن ثم عادت تطلب المزيد، فطوقته بقوة ودفنت رأسها في صدره.

صاعقة أحاسيس متمرّدة كهربته ومحت لديه كل أثر لمقاومتها. تنهد بحيطها بروحه بدل ذراعيه ويجذبها نحوه بكل ما لديه من أحاسيس. لطالما حلم بهذا ليلة بعد ليلة. ومع أنه كان يدرك أن هذا ليس من حقه إلاّ أنه لم يستطع ردع نفسه.

كانت يداه المحيطتان بخصرها تحرقان وترويان في آنٍ معاً. كان ذاك العناق بمثابة المتعة القاتلة.

وأخيراً، استجمع شجاعته لوضع حدّ للعناق. وكاد يغيّر رأيه بعد أن نظر إلى عينيها اللتين تعكسان عمق ما يدور في عالمها لكنه تراجع بسرعة قائلاً: «ها قد حصلت على معانقة العيد، عودي إلى منزلك الآن».

بدت راشيل مذهولة وهي تقول: «كول..».

جعل المسافة أكبر بينهما وهو يضيف: «حسناً راشيل، كان الأمر ممتعاً لكن كلانا يعلم أنه يجب أن يتوقف عند هذا الحد».

بدت مجروحة لكنه تمسك بموقفه، كان لا بد من ذلك. هذه هي الطريقة الوحيدة ليحميها، وشد قبضة يديه وقال: «نحن مختلفان. لقد جربت الحياة العائلية، لكن الأمر لم ينجح. اليوم بداية جديدة لك ولا تحتاجين إليَّ».

وقبل أن تتمكن من الرد قاطعتهما أصوات آتية من مدخل منزلها: «يبدو أن ضيوفك يرحلون، عليك الذهاب إليهم».

همّت راشيل بالخروج ثم نظرت إلى الوراء وقالت: «لم أتوقع منك أن تختار الدرب الأسهل وتهرب».

اختفت من الغرفة وهمس لجدران الغرفة الخالية إلا منه: «صدقيني، هذا ليس بالدرب السهل».

* * *

ارتاحت معظم الليل لكنها لم تتمكن من النوم لفترة طويلة. وقررت حوالى الساعة الثالثة فجراً أن كول محق وأنها لا تحتاجه حقاً. لقد حان الوقت لتكون لها حياتها.

أنهت إطعام هانا ووضعتها في عربتها لتبدأ بتناول فطورها. دخل كل من سي وجوش يتحدثان عما ينتظرهما في ذلك اليوم.

- صباح الخير يا فتاة العيد.

ردّت بابتسامة مصطنعة: «صباح الخير، وشكراً مجدّداً على إقامة تلك الحفلة الرائعة».

- سررنا جداً لاستمتاعك بها.

طمأنته قائلة: «إنها الحفلة الأروع على الإطلاق».

كان سي يعلم أن والدها لطالما تجاهل أعياد الميلاد وسألها: «هل ستمرين بنا اليوم؟».

- لا أظن ذلك.

- لماذا؟ هل نسينا أن نقوم بأعمال التنظيف؟

- كلا، المنزل غاية في الترتيب، لكن دوغ ويلز سيمر بي في وقت لاحق من النهار. سأوقع العقد مع شركة تواينتي فيرست سنتشوري إذ سأحتاج للمال.

www.elromancia.com

أشرق وجه سي وهو يضمها إليه وقال: «سيكون ذلك رائعاً وستتمكنين من إنجاز التحسينات التي تكلمت عنها».

وضعت راشيل صينية البسكويت في الفرن وهي تفكر بالمبلغ الذي ستتلقاه جراء توقيع العقد.

- لن أقوم بتبذير الأموال كلها لكني سأجري بعض التصليحات في المنزل والحظيرة وسأجدد الطلاء والسقف أيضاً.

جلس سي إلى الطاولة بينما جلب جوش عصير الليمون من البراد وهو يقول: «يجب أن تشتري شاحنة جديدة أيضاً».

وابتسم الفتى المراهق لهانا التي كانت سعيدة بتلقيها الاهتمام.

- لعلي سأشتري شاحنة أخرى.

ثم خطرت لها فكرة: يمكن لجوش أن يستعمل الشاحنة القديمة إذا عدّل فيها وأجرى عليها بعض التصليحات الطفيفة، وقالت: «أظن أني سأحيل الشاحنة القديمة إلى التقاعد إلا إذا وجدت من يستطيع استخدامها».

نظر جوش إلى راشيل وسألها: «أتريدين بيعها؟».

- كنت أفكر في وهبها لصديق.. مثلك ربما.

طرف جوش بعينيه وقال: «أتريدين أن تعطيني شاحنتك؟».

هزت راشيل كتفيها وردّت: «الشاحنة تحتاج لإطارات جديدة، وما أدفعه لقاء ما تقوم به يجب أن يكون كافياً لتغطية نفقات التأمين. لكن حين يبدأ الموسم الدراسي أريدك أن تحصل على علامات عالية».

- هل تعنين ذلك؟

نظرت راشيل إلى سي للحصول على موافقته وقالت: «أعني ذلك».

- شكراً راشيل. لم يعطني أحد شيئاً جميلاً كهذا.

بادلته العناق وقالت: «حصلت على ذلك بجدارة يا جوش. ما كنا

لنستطيع تدبر أمورنا من دونك».

وسأل سي ممازحاً: «ومن كان ليقوم بتنظيف إسطبلات الخيل سواه؟».

ابتسم جوش لإغاثة سي ثم انتابه الحزن فجأة وهو يقول: «ما كنت لأحظى بمكان أعيش فيه لو لم تحتضنوني».

في أقل من شهر، اعتادت راشيل على وجوده. لقد أصبح جوش الآن جزءاً من عائلتها. عائلتها، أحبّت تلك التسمية وقالت: «وستحظى دوماً بمنزل لك هنا طالما رغبت أنت في ذلك».

أخذ نفساً عميقاً وقال: «شكراً، إذاً.. متى ستشترين شاحنة جديدة؟».

وفجأة، فتح الباب ودخل كول إلى المطبخ يرتدي سروال الجينز المعتاد وسترته القديمة. وبدأت دقات قلب راشيل تتسارع.

ركض جوش إليه: «احزر ماذا؟ راشيل ستشتري شاحنة جديدة وستدعني أحصل على شاحنتها القديمة».

أدركت راشيل أنها تنتظر ردّ فعل كول الذي نظر إليها وابتسم: «هل هذا صحيح».

- أجل، كل ما عليّ فعله هو الحصول على تأميني الخاص والحصول على علامات عالية.

جفّف كول يديه واستند إلى الحوض قائلاً: «تبدو صفقة جيدة. كنت لأقبل بها».

التفت المراهق إلى راشيل وقال: «إن أردتني أن أقوم بمزيد من الأعمال، فسأفعل».

- كلا جوش، ما تقوم به من أعمال كافٍ.

بدأت هانا تعبث وتصرخ فتوجهت راشيل إلى العربة تهدئها

وأكملت: «أثبت لي أنك ناضج بما يكفي لتكون لك شاحنتك الخاصة. لكن ثمة قواعد.. الكثير من القواعد والقوانين التي أودّ أن أناقشها مع بيت أيضاً».

هزّ جوش رأسه وكأن ما بيده حيلة ثم عاد يحضّر طعام الفطور.

خلال الشهر المنصرم ومنذ وصول الطفلة، اضطرت للسماح للرجال للقيام ببعض مهام تحضير الفطور.

ركزت راشيل اهتمامها على كول. وتذكرت تصرفه وكلماته الليلة الماضية من دون أن يمنعها ذلك من أن تستذكر لحظات العناق الحار. إحساسها بقوته ورقته في آن أطلق العنان لتيارات من التوق لم تختبرها سابقاً وأرادت المزيد.

شعر كول براشيل تراقبه. لعلها تتخيل مختلف الطرق لتعذيبه وهو يستحق ذلك ولن يلومها. ما كان عليه معانقتها وإشعال النار كما فعل.

فكر بعدم المجيء لتناول الفطور هذا الصباح، لكنه علم أن تصرفه سيطرح الكثير من الأسئلة. كل ما عليه فعله هو التصرف بشكل طبيعي والالتزام بتنفيذ الخطة الرامية إلى رحيله نهار الاثنين، بعد خمسة أيام من الآن.

سكب القهوة واستدار نحو الطاولة ليرى راشيل تميل برأسها إلى الوراء وتضحك لأمر قاله سي. وهز رأسه ينفض صورة راشيل كحبيبة له.

انضم إلى الآخرين حول الطاولة وجلس قبالتها قائلاً: «إذاً ستنفقين أموال الميراث على شراء شاحنة جديدة».

- لم يترك أبي أي أموال نقدية يورثني إياها.

- هل أنت واثقة من أن مونتغومري كان صادقاً بهذا الشأن.

- أجل، عرفت لسنوات أن المزرعة بالكاد تربح. وبالطبع حين استلم لويد الأمور لم يبد أي رغبة في تغيير مسار الأمور.. حتى عندما أبدت الشركة اهتمامها باستئجار الأرض لإقامة المشروع.

- هل تقولين إنه كان يخطط لحرمانك من الصفقة؟

هزت كتفيها وردّت: «لم يكن لويد ليعترف بالأمر مطلقاً، لكنه حاول إقناعي بإبقائه وصياً على أملاكي. وعندما رفضت طرح فكرة بيع جزء من المزرعة».

- وهو الجزء الذي سيقام عليه المشروع إن لم أكن مخطئاً؟

ابتسمت فانقبضت أمعاؤه وأجابت: «بالضبط».

- أتمنى أن تكوني قد أخبرته رأيك فيه بصراحة.

- كلا، لكنني استمتعت بإخباره بأني سأوقع العقد مع شركة تويتي فيرست ستشوري. ولم ينجح في إخفاء دهشته.

- كنت محظوظة لإيجاد تلك الرسالة في سلة المهملات.

- بل محظوظة لأن صديقك اطلع على العقد. لا أستطيع أن أعبّر عن مدى شكري لك كول.

اشتبكت نظراتهما وقال: «على الرحب والسعة».

حمل سي وجوش الطعام إلى الطاولة وأخذا مكانيهما. نظر كول في وجوه الجالسين واستمع إلى الحديث بينهم. لقد اعتاد على الجميع هنا وأحبهم.. تلك هي المشكلة إذ صار شديد التعلّق بالمكان. لحسن الحظ أنه سيرحل.

* * *

أرشدها دوغ قائلاً: «ليس عليك سوى أن توقعي هنا».

كان الوقت بعد الظهر حين سلّم دوغ قلماً لراشيل فوقعت عند أسفل الصفحة بعد أن ألقت نظرة على كل من سي وكول.

www.elromancia.com

وقال لها: «الأحرف الأولى من اسمك هنا وهنا».

- هل ثمة المزيد من التواقيع؟

سلّمها دوغ نسخة من العقد مجيباً: «كلا، هذا كل شيء. تفضلي هذا الشيك لك».

نظرت راشيل إلى الشيك الذي بلغت قيمته خمسة وسبعين ألف دولار وكاد قلبها يطير من الإثارة. هذا المبلغ لن يكون كبيراً إن لم تحسن إنفاقه، فقررت أن تخصص جزءاً منه لمدرسة هانا، وأنْ تدّخر جزءاً آخر. أما الباقي فستنفقه على المزرعة.

- حالما تبدأ الطواحين بالعمل فعلياً، ستصلك مبالغ شهرية تتحول تلقائياً إلى حسابك في المصرف، هل يناسبك ذلك؟

قالت راشيل: «هذا رائع».

أجاب دوغ: «إنه مشروع جيد بالنسبة لنا. إن كان لديك أية أسئلة، فاتصلي بي في أي وقت».

- أشكرك جزيلاً دوغ، سأفعل.

كان كول يراقب دوغ وهو يمسك بيد راشيل طويلاً. من الواضح أن الرجل يريد أكثر من علاقة عمل مع راشيل لكن كول لم يكن واثقاً أنه الرجل المناسب لها. كما أنها كانت عديمة الخبرة في هذا المجال.

رافقت راشيل الرجل إلى السلالم فيما وقف كول عند النافذة يراقب ويلز الذي استند إلى السيارة ومد يده نحو راشيل. كانا يضحكان معاً.

وقف سي خلف كول وقال: «جميل أن يمنح أحدهم راشيل بعض الاهتمام».

- هل تعلم شيئاً عنه؟

هز الرجل الأكبر سناً كتفيه وردَّ: «إنه رجل روع مؤمن وهو في فريق الكرة الطائرة».

- رائع، يبدو أن ويلز رجل صالح، إنه أفضل مني على ما يبدو.

- إن ركع مرَّة في الأسبوع فهذا لا يعني أنه سيكون صالحاً طيلة الأسبوع. لكن لا أظن أن رأينا هو المهم. على راشيل أن تقرر بنفسها. رغم أني أظن أنه في غضون فترة قصيرة ستتوفر لها خيارات كثيرة.

عادت راشيل إلى المكتب وهي تلوح بالشيك وتقول بابتسامة عريضة على ثغرها:

- أعرف أننا احتفلنا بعيد مولدي الليلة الماضية لكن لا يمكننا أن ندع هذا اليوم يمرّ ببساطة. ما رأيكما لو نذهب جميعاً لتناول العشاء في مطعم البلدة احتفالاً؟

كانت حماسة راشيل معدية طيلة فترة بعد الظهر فيما كول يقود الشاحنة نحو البلدة. وبعد أن توقفوا قليلاً عند المصرف لإيداع الشيك، أقنعهم جوش بالذهاب إلى معرض الشاحنات.

ظلت هانا هادئة طوال فترة تجولهم في المعرض. وقررت راشيل أخيراً شراء شاحنة مستعملة مع مقعد خلفي كبير من أجل عربة هانا.

وقعت الأوراق وحررت شيكاً بالمبلغ من الأموال التي أودعتها منذ أقل من ساعة. وخرج الأربعة إلى الشارع وتوجهوا نحو المطعم.

تنهدت راشيل وهي تضع هانا في العربة ونظرت إلى كول قائلة: «لا أصدق أني اشتريت شاحنة».

سألها: «هل تأسفين لذلك؟».

ترددت وردَّت: «أجل! هل أنت واثق من أنها صفقة جيدة؟».

ردَّ كول: «لقد جعلت البائع يركع، فمدد الكفالة».

وسألها جوش: «وماذا تريدين أن تشتري أيضاً؟».

- العشاء.. هذا كل شيء.

قال سي ممازحاً وهو ينظر إلى لائحة الطعام: «ستكون أكبر قطعة

لحم على القائمة إذاً».

نظرت راشيل إلى هانا فلاحظت أنها بدأت تتحرك في العربة، وحين أتى النادل ليأخذ طلباتهم، أعطته قنينة الحليب ليسخنها قليلاً.

قال سي: «كفي عن العبوس يا فتاة. أنت بحاجة لعربة تعتمدين عليها بعد أن صار لديك طفلة الآن».

فكرت بلون الجلد الأزرق الناعم والمقاعد المريحة وقالت: «أعلم ذلك، لكني لم أنفق قط مثل هذا المبلغ الكبير من المال. هل هي عمليّة؟».

- إنّها مناسبة تماماً لك. بما أن لديك الشاحنة القديمة لتحميل ونقل التبن فأعتقد أن هذه الشاحنة هي ما تريدين تماماً.

همّت بالإجابة لكنها صمتت حين رأت رجلاً يحدق فيها، أخيراً ابتسم لها واقترب من الطاولة قائلاً: «راشيل.. راشيل هويت».

أجابت وهي تشعر بموجة من الحر ترفع الدم إلى وجنتيها تحت أنظار الرجل المتفحّصة: «أجل، أنا.. راشيل هويت».

هل تعرفه؟ وكيف لها أن تنسى الرجل الطويل الأشقر الوسيم.

- أدعى فينس هايدن. كنا معاً في الثانوية؟

إنه فينس هايدن الذي ما كان ليضيع وقته معها: «تسرني رؤيتك فينس».

جالت نظراته بجرأة على وجهها وقال: «تسرني رؤيتك أيضاً، لقد تركت السنين أثراً طيباً عليك».

إنه يغازلها. شكرته ولم تعرف ماذا تقول أكثر فبدأت تعرّفه بالجميع: «فينس، هذا سي باركس، وجوش أوينز وكول باريش».

لم تشعر أنها بحاجة لشرح المزيد.

عندئذٍ، قررت هانا الإعلان عن وجودها ففكت راشيل حزام

الأمان حول العربة ورفعتها لتطمئنها لكن الأمر لم ينجح وزاد بكاؤها.

نهض كول قائلاً: «سأذهب لإحضار قنينتها».

أرادت راشيل أن تناديه ليعود ونظرت إلى سي لترى أنه كان يستمتع بالوضع.

لم يتحرك فينس من مكانه وقال: «يبدو أننا نحتاج لتقديم التهاني. لم أكن أعرف أنك تزوجت».

هزّت رأسها وقالت: «كلا، لم أفعل، إنها ابنة أختي وأنا أقوم بتربيتها».

لماذا تشرح له وضعها؟

عادت الابتسامة تنير ملامحه وقال وهو يعود بنظراته إليها: «أرى أنك منشغلة الآن. هل ما زلت تعيشين في المزرعة؟».

- إني أديرها الآن.

هزّ رأسه وقال قبل أن يستدير ويرحل: «تسرني رؤيتك مجدداً يا راشيل. إلى اللقاء».

قال جوش: «يا إلهي راشيل! إنه فينس هايدن، النابغة الذي حطم الأرقام القياسية في المدرسة وربح بطولة الولاية».

راقبت راشيل فينس يخرج من المطعم في الوقت الذي عاد فيه كول إلى الطاولة. تبادل الرجلان إيماءة وبضع كلمات، وقالت له: «إني أتذكره من أيام المدرسة. لكن الأمر المضحك أنه لم يكن يعرفني. لم يتحدّث إليّ مطلقاً».

ضحك المراهق وقال: «إنه يهتم لأمرك الآن».

لم تشأ راشيل أن يهتم فينس لأمرها. راقبت الرجلين عندما التقيا وسط المطعم بينما كان كول متوجهاً إلى الطاولة. اجتاز المسافة بسرعة بخطواته الطويلة واشتبكت نظراتهما، وتحركت مشاعر غريبة في داخلها.

شعرت أن أعصابها تشتد وكول يقترب منها.

لم تكن تريد سوى هذا الرجل.

٧ - لا ترحل

قال كول وهو ينظر إلى عجلات الشاحنة التي تدور بجنون وتغرق في الوحول المشبعة بالمياه: «كلا، قم بالدوس على دواسة الوقود لئلا تغرق أكثر».

نادى جوش: «توقف، هذا لا ينجح، نحتاج لحل آخر».

ترجّل جوش من الشاحنة وبدأ يدوس برجليه على الوحل بينما تناول كول رفشين من الصندوق وقال: «ابدأ بالحفر».

بدأ الرجلان العمل وقال جوش: «آسف، كول».

- لا بأس هذه أمور تحصل. يسرني أنك لم تصب بأذى.

- كان عليَّ أن أعلم أن المطر الغزير جعل الأرض تغرق بالمياه.

وانتشل رفشاً آخر مليئاً بالوحل ورماه جانباً قائلاً: «هل لي أن أطرح عليك سؤالاً كول؟».

- بالطبع، لكني لا أضمن أن يكون لدي الجواب المناسب.

تردد الفتى: «أتساءل ما إذا كنت تستطيع إخباري كيف تطلب من فتاة الخروج معك؟».

نزع كول القبعة عن رأسه ومسح جبينه. لم يكن يتوقع مثل هذا النقاش واستند على الشاحنة قائلاً:

- حسناً، الإجابة ليست سهلة. أعتقد أن الطريقة الأفضل هي أن تطلب ذلك منها مباشرة. أفترض أنك تتكلم عن آيمي كامبل.

هز رأسه وقال: «إنها جميلة جداً، لا أصدق أنها تتحدث إليَّ حتى».

www.elromancia.com

لاحظ كول أن آمي مهتمة بجوش بقدر ما هو مهتم بها، وقال: «قد تتفاجأ. لكن إن أمضت الفتاة وقتاً معك.. فهذا يعني أنها مهتمة».

- أتظنّ ذلك؟

هز كول كتفيه وردّ: «ثمة طريقة واحدة لتتأكد من ذلك».

- عليّ أن أحصل على رخصة القيادة. وقد تغيّر راشيل رأيها بعد أن تسمع بما جرى اليوم.

- لماذا؟ لديك الإذن بأن تقود الشاحنة في أرجاء المزرعة، كما أني كنت معك. وإن اضطر الأمر فتستطيع أن تذهب لرؤية آمي على الحصان.

بدا جوش مستغرقاً في التفكير وهو يعود للعمل على رفع الوحول، وقال: «أتعني أن أذهب إلى منزلها؟ وماذا أقول لها حين أصل إلى هناك؟».

كان كول قد نسي مدى صعوبة هذه المرحلة فأجاب: «كانت الأمور تسير على ما يرام بينكما في الحفلة».

- كان الأمر مختلفاً.. فهانا معنا وكنا نتحدث عن الحفلة.

رمى الرفش جانباً وقال: «ابحث عن مواضيع إذاً، كالموسيقى والمدرسة وعن تعلّمك القيادة. والآن دعنا نخرج الشاحنة من هنا».

وافق جوش بحركة من رأسه وصعد إلى الشاحنة وأدارها.

ناداه كول وهو بالشاحنة: «اضغط قليلاً على دوّاسة الوقود».

بدأت العجلات تدور كالمجنونة وتقذفه بالوحول والأوساخ لكنه رفض الابتعاد إلى أن خرجت الشاحنة من الحفرة.

أوقف جوش الشاحنة وخرج منها وقد كبت ابتسامة حين رأى ثياب كول الملطخة بالوحل وقال: «أنا آسف كول».

مسح كول الوحل عن وجهه وهو يقول: «لا تبدو آسفاً جداً».

- بل أنا كذلك حقاً.

وانفجر جوش ضاحكاً فاستمتع كول بمراقبته يطلق ما كبته من ضحك بعد رؤية مظهره.

انحنى كول قليلاً إلى الأرض وغرف حفنة من التراب الرطب قائلاً: «دعنا نرى إن كنت ستحب أن تطلى بالتراب».

تراجع جوش إلى الوراء وهرع يختبيء خلف الشاحنة قائلاً: «كول أنا آسف لأني ضحكت لمظهرك».

لحقه كول يغيظه قائلاً: «إلى أي مدى أنت آسف، دعنا نرى».

- سأفعل لك ما تريد. سأغسل ملابسك.

توقف كول قائلاً: «تابع الكلام».

- سأغسل الشاحنة أيضاً.

شي ما لفت انتباه جوش فلوّح بيده قائلاً: «إنها راشيل».

ظن كول أولاً أنها مجرّد خدعة إلى أن رأى خيالاً على ظهر الحصان، فسأل: «ماذا تفعلين هنا؟ هل حصل شيء لهانا؟».

كانت راشيل تمتطي الحصان بظهر مستقيم وخدّين زهريّين وشعر يتطاير مع الهواء. كانت رشيقة وجميلة جداً على ظهر الحصان.

- إذاً أنتما عالقان هنا منذ ساعتين.

قال كول: «صادفتنا مشكلة صغيرة مع الشاحنة، هل من خطب؟».

هزت رأسها ونزلت عن ظهر الحصان وسلمته الرسن ثم ردّت: «كلا، هانا تأخذ قيلولتها وقد تركت سي معها. يبدو أنكما عانيتما من مشكلة».

- كنت أساعد جوش في إخراج الشاحنة من الحفرة.

نظرت إلى جوش وقالت: «حسناً يبدو أن الأمر سوّي هنا».

والتوت شفتاها في ابتسامة عريضة نابعة من أعماقها فانقبضت

www.elromancia.com

معدته.

دفع بهذا الشعور جانباً وسأل: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

اشتدت قوة الرياح وثبتت القبعة أكثر على رأسها قائلة: «عندما مرّت آيمي بالمنزل في وقت مبكر من هذا اليوم..».

سألها جوش وهو يتقدم منها: «هل كانت آيمي في المنزل؟».

هزت راشيل برأسها وردّت: «أجل، وطلبت منها أن تقوم برعاية الطفلة بضع ساعات في اليوم إلى أن تبدأ المدرسة، بحيث أتمكن من الخروج من المنزل للاهتمام ببعض الأمور في المزرعة. على أيّ حال، نسيت آيمي هاتفها الخلوي في المنزل واتصلت منذ بعض الوقت لتسأل ما إذا كان جوش يستطيع إحضاره لها».

احمرّ وجه المراهق وقال: «أنا؟ هل سألت عني فعلاً؟».

مدت راشيل يدعها تحمل الهاتف وقالت: «لماذا لا تمتطي ستورمي وسأعود أنا بالشاحنة مع كول. تأكد فقط من أن تعود إلى المنزل قبل حلول الظلام».

نظر جوش إلى كول وسأل: «حقاً».

ردَّ كول: «أظن أن الفتاة تريد تمضية بعض الوقت معك، لذا من الأفضل أن تذهب».

تناول جوش الهاتف وأمسك برسن الحصان قائلاً: «لكن لدي بعض الأعمال لأقوم بها».

- سأنجزها عنك، لكن تذكر أنك ستقوم بالغسيل.

رفع جوش يده وقال: «أعدك بذلك».

ثم امتطى الحصان وشد الرسن وقال قبل أن ينطلق: «شكراً كول، شكراً راشيل».

تنهدت راشيل وهي تراقب جوش يبتعد: «لماذا أشعر أني خسرت

هذا الولد لصالح امرأة أخرى؟».

رفع كول الرفش ورماه في صندوق الشاحنة قائلاً: «أشك في ذلك. إنه يهتم كثيراً لأمرك. لقد آويته وقدمت له منزلاً».

كانت راشيل تعلم أنها ليست الوحيدة التي ساعدت الولد: «أظنّ أنه ينظر إليك بعين المنقذ البطل».

قطب كول: «لم أفعل شيئاً يذكر».

- لقد تحدثت إليه، لكن الأهم أنك استمعت إليه.

كانت تعلم أن كول لم يشأ أن ينتمي إلى هذه العائلة، لكنه فعل فهو مناسب تماماً في موقعه.

هبت الرياح بقوة ونظر كلاهما إلى السماء حيث اختفت الشمس وراء الغيوم السوداء.

- يبدو أن ثمة عاصفة قادمة، يستحسن بنا العودة للبيت.

توجها إلى الشاحنة وأقدامهما تغرق في الوحل. وفجأة فقدت راشيل توازنها وكادت تقع على الأرض لكنه لف ذراعه حول خصرها ورفعها وأسندها عليه قبل أن تصل إلى الأرض.

رفعت نظرها إليه لترى عمق عينيه الرماديتين.

- هل أنت بخير؟

أومأت، تأمل ألا يسمع ضربات قلبها.

أوقفها وثبتها على قدميها، لكنه لم يتركها: «الأرض زلقة وخطرة جداً. ولا أريدك أن تلطخي وجهك وملابسك بالوحل».

- أنا أيضاً لا أريد ذلك.

جل ما أرادته هو أن يظل ممسكاً بها ويضمها إليه أكثر. وتمسكت يداها بذراعيه.

أخذ نفساً عميقاً وقال: «كفي عن النظر إليّ هكذا راشيل وإلا وقعنا

www.elromancia.com

في المشاكل».

كانت تريد بعض المشاكل وتريده، لامست أصابعها ذراعه المفتولة العضلات، فارتعش.

- وما الضير في وقوع مشكلة صغيرة بين الأصدقاء؟

وقبل أن يتمكن من الإجابة بدأت قطرات المطر تتساقط فساعدها لتصل إلى داخل الشاحنة قائلاً:

- يستحسن بنا الخروج من هنا.

توجه كول إلى الناحية الأخرى من الشاحنة ثم خلع قميصه ووضعه على المقعد قبل أن يصعد إلى الشاحنة مع بدء انهمار الأمطار بغزارة.

- لا أود أن ألوث المقعد بالوحل. لقد تركه جوش يلمع.

قالت وهي تحدق في كتفيه العريضتين: «فعلاً لن يحب جوش ذلك».

رأت راشيل ارتفاع وهبوط صدره فأرسل ذلك ذبذبات غريبة في كل أنحاء جسمها. أخيراً، أشاحت بنظرها نحو وجهه وهي تسمع قطرات المطر تضرب الزجاج الأمامي للشاحنة.

- يجدر بنا العودة قبل أن نعلق هنا.

كل ما استطاعت فعله هو هز رأسها، لكنها في الواقع أرادت أن تعلق هنا مع كول. لكن أفكاره هو كانت مختلفة.. وهي ليست طرفاً فيها.

* * *

عادة يخلد كول إلى النوم عند الساعة الحادية عشرة، لكنه لم يتمكن من النوم الليلة. وألقى اللوم على العواصف الرعدية.

لحسن الحظ أن جوش وسترومي عادا إلى المنزل بأمان. لكن بعد عودتهما بقليل أغرقت عاصفة أخرى المكان بالمياه. واستمرَّ الإعصار

حتى منتصف الليل.

وعادت أفكاره إلى راشيل. هل هي خائفة؟ كان يعلم أن بإمكانها أن تلجأ إلى الطبقة السفلية من المنزل إذا ما اضطرت. لكن هل ستجيد التصرف؟

لم يستطع أن يبقى مكتوف اليدين، فتوجه نحو الحظيرة ليتحقق من الأحصنة. كان الليل في الخارج ساكناً.. ساكناً جداً. الصوت الوحيد كان صوت الرعد البعيد. انتابه شعور غامض بأن شيئاً ما سيحدث فطقس تكساس لا يمكن التكهن به، وتساقطت الأمطار فالتفت نحو المنزل ليرى غرفة راشيل مضاءة.

دخل إلى الحظيرة وأقفل الباب وراءه وسار في الممر الإسمنتي. لاحظ أن الحيوانات مضطربة بقدره هو. وصل إلى حظيرة الحصان ديوك حيث كان الحيوان ينتظر بعض الاهتمام.

فرك جبين الحصان وقال: «مرحباً يا صاح، لم تستطع النوم كذلك؟».

إنه جواد جيد ومنذ اليوم الأول انجذب كول إليه وطلب من راشيل السماح له بامتطائه. فكرت في السؤال قليلاً لكنها وافقت في النهاية. وبعد بضعة أيام، علم من سي أن ديوك كان حصان غيب.

تساءل كول عن رأي هويت الأب في طريقة إدارة ابنته لأمور المزرعة.

لم يكن يعرف الرجل، لكنه شعر أن غيب العجوز ما كان ليحب إقامة الطواحين على أرضه. وهذه الفكرة جعلته يبتسم.

إن قيامها بتأجير الأرض سيمنحها دخلاً محترماً.. ومستقبلاً واعداً وهي تستحق ذلك. وخطر له كم كان قريباً منها في فترة بعد الظهر. وعلى قدر ما يريدها، عليه أن يقاومها فهي تستحق أكثر مما يمكن له أن

يقدم.

تنهد وهو يفكر أنه ما زال أمامه ثلاثة أيام. بعدها سيرحل وتُحلّ المشكلة وستنسى كل ما يتعلق به لكنه يشك في أن ينسى راشيل هويت يوماً.

وفجأة، ازدادت سرعة الرياح وصفقت الأبواب وأصدرت أخشاب السقف صوت صرير. صهل ديوك بصوت مرتفع وقلّدته الحيوانات الأخرى فهدأه كول قائلاً: «اهدأ، إنه مجرّد هواء».

سمع كول ضجة حين صفعت الرياح والأمطار البناء القديم. خفتت الأضواء ثم انطفأت فخرج من الحظيرة وهو لا يزال يسمع صوتاً أشبه بصوت قطار. كان يعلم تماماً ما يحدث، عليه أن يذهب إلى راشيل. بدأ يركض مبتعداً عن الحظيرة عندما لاقاه سي وجوش.

لطالما نجت راشيل من ويلات أعاصير تكساس لأنها لا تتصرّف بحماقة. لم تكن هذه مجرد عاصفة رعدية عادية وعليها النزول إلى الطبقة السفلية من المنزل.

وفجأة سمعت ضجة في الخارج. إنه إعصار هرعت نحو غرفة هانا ورفعت الطفلة من سريرها وتوجهت نحو الباب في اللحظة التي فتح فيها الهواء النافذة وسقط جذع شجرة كبير في الغرفة كاسراً الزجاج.

شدّت راشيل هانا إلى صدرها لكنها لم تستطع الهرب من الجذع، نجحت في الابتعاد قليلاً في اللحظة التي شعرت فيها بجذع الشجرة يلطمها ويرميها أرضاً. ذهلت راشيل وكافحت لتستمر في التنفس لكنها كانت ممتنة لسماع صراخ هانا المتواصل.

اغرورقت عينا راشيل بالدموع وهي تقبل رأس الطفلة وتقول لها: «سيكون كل شيء بخير، ماما هنا. لن أسمح بأن يصيبك أي أذى. أرجوك ربي ساعدني لئلا أنكث بوعدي».

ناداها كول باسمها وعلى الرغم من الظلام الحالك، كانت معنوياتها مرتفعة وصرخت: «نحن هنا في غرفة هانا».

رأت وميض الضوء أولاً ثم سمعت صوته يقول: «راشيل، هل تأذّيت؟ كيف حال هانا؟».

- ليست سعيدة بالوضع، لكنها بخير. وسأشعر بحال أفضل إذا ما أزلت هذه الشجرة عني.

بدأ رأس راشيل وظهرها وذراعها تؤلمها.

- سأرى ما يمكنني فعله.

- قل لي أرجوك أن سي وجوش بخير.

- إنهما بخير، وهما هنا في الواقع.

قال جوش: «مرحباً راشيل».

طمأنها سي: «أنا هنا أيضاً حبيبتي».

بدا كول عاجزاً عن التوقف عن الارتجاف وهو يشق طريقه في غرفة الصغيرة. وعندما رأى جذع الشجرة الذي دخل من النافذة خطر له أن الأسوأ أصاب راشيل وهانا. وبعد أن كسر بضعة جذوع صغيرة، لاحظ أن أسفل ظهر راشيل وساقيها عالقة تحت جذع شجرة كبيرة، لكن الطفلة لم يمسّها أي أذى وهي تحتضنها بين ذراعيها.

أزال من طريقه بعض الأنقاض المتناثرة وانبطح على الأرض وزحف نحوها.

ساعدته ظلال الأضواء للوصول إليها وتمسكت بيده بقوة. قال لها: «مرحباً حبيبتي».

لم يكن يرغب سوى في أخذها بين ذراعيه.

حاولت التنفس بصعوبة وكافحت الشعور بالألم وهي تجيب: «مرحباً».

- سوف آخذ هانا أولاً.

حرَّر الطفلة التي راحت تصرخ باكية وخرج بها وسلمها لسي ثم عاد إلى تحت الجذع مقترباً منها بما يكفي ليلمس وجهها آملاً أن يهدئها بقوله: «راشيل اسمعيني، سوف نخرج من هنا. لكننا نحتاج لمساعدتك وأنا وجوش سنرفع الجذع لكننا نريدك أن تستديري إلى جانبك الأيمن».

- أظنني أستطيع ذلك.

- جيد.

فقد كل منطق لديه وضمها إليه يعانقها بحرارة. كان مجرَّد عناق عابر لكنه احتاج للمسها. عاد أدراجه ووقف قائلاً: «جوش، اذهب إلى الناحية الأخرى».

نجح المراهق في الوصول إلى الجهة الأخرى.

- راشيل، حين أعدّ إلى ثلاثة سنرفع وتسحبين نفسك.

- لا بأس.

- واحد، اثنان، ثلاثة، ارفع.

رفع هو وجوش الجذع وسمع تنهيدة راشيل التي تنفست متعبة وقالت: «لقد خرجت».

وضعا الحمل وقفز كول فوق الجذع ووصل إليها قائلاً: «هل تشعرين بساقيك؟».

- أجل، وأجل أشعر بالألم في جسمي كله.

ابتسم كول في العتمة ويداه تلامسان ساقيها العاريتين محاولاً ألا يفكر في شيء سوى معاينتها ليتأكد من عدم وجود عظام مكسورة.

- لا أريد تحريكك من هنا إن كنت متأذية جداً.

نجحت في الجلوس وهي تقول: «لست كذلك وسأرى ما إذا كانت هانا بخير».

ساعدها كول لتقف على قدميها وحملها بين ذراعيه إلى غرفتها وألقاها على السرير الكبير.

اقتربت راشيل من الطفلة وأخذتها بين ذراعيها. تجاهلت ألمها وألقت هانا الغالية على كتفيها وبدأت تربت عليها لتهدئها: «لا بأس هانا، ماما هنا».

خفت صراخ الطفلة التي هدأت في النهاية، عندئذ سمحت راشيل للدموع بترطيب خديها. وشعرت بثقل أحدهم على الفراش فيما قال كول: «لا بأس راشيل، أنتما بأمان الآن».

تدفقت الدموع غزيرة وطوقهما بذراعيه وسمحت راشيل لنفسها بإطلاق العنان لأحاسيسها. كانت تكره أن تظهر ضعفها لكنها فكرت في أنه لا بأس بالأمر ولو لمرَّة واحدة.

وبعد ساعتين، كان كول يجلس في غرفة انتظار قسم الطوارىء المكتظ. تطلّب إقناع راشيل برؤية طبيب وقتاً طويلاً، وقد وافقت على الذهاب فقط لأنها كانت قلقة على هانا.

أوصلها كول هي وهانا بينما بقي سي وجوش في المزرعة لإزالة الجذع من غرفة الصغيرة. اقتلع الإعصار جزءً من السقف لكن بقية المنزل نجت وأصيبت المباني الأخرى ببعض الأضرار لكنها كانت طفيفة نظراً لهول العاصفة.

عاد كول بالذاكرة إلى الوراء حين وجد راشيل وهانا تحتد جذع شجرة السنديان. وسرت رعشة في عروقه وهو يفكر إلى أي مدى كانت لتتأذى هي والصغيرة.

دفع جانباً بالمشاعر التي أثارتها هذه الأفكار في داخله، لكن هذا ولَّد مشكلة أخرى. سيكون نذلاً إن تخلى عنها الآن. فسي منشغل بمراقبة التصليحات، ولا يمكن أن يتوقع من جوش القيام بكل المهام

وحده. عليه أن يعرض خدماته مجدداً.

أشارت إليه ممرضة شقراء بمراقبتها وأخبرته وهي تقوده إلى إحدى الغرف: «يود الطبيب التحدث إليك».

كانت راشيل تجلس على السرير، وقد لُف رأسها وعُلّقت يدها في حمالة، أما هانا فكانت نائمة في عربتها وسأل: «هل كل شيء بخير؟».

- أجل، أنا بخير وهانا أيضاً. نود فقط الذهاب إلى المنزل.

دخل رجل في متوسط العمر وقال وهو ينظر إلى العربة: «مرحباً، أنا الدكتور هاريس. الآنسة هويت محظوظة جداً، لديها ارتجاج بسيط والكثير من الجروح. كنت أود أن أبقيها هنا ليومين لكنّها أصرت على أنك ستهتم بها في الساعات الأربع وعشرين المقبلة».

نظر كول إلى راشيل فرأى ملامحها المتوسلة وقال: «طبعاً».

هزّ الطبيب رأسه والتفت إلى راشيل: «أريد أن أراك في عيادتي عند نهاية الأسبوع. وتذكري أنه لا يمكنك حمل أيّ شيء باليد التي تعاني من جروح».

سلّمه الطبيب وصفة طبيّة ومسكّناً للألم، فقال كول: «سأحرص على أن تتناولها».

ثم أخذ الطفلة إلى غرفة الانتظار بينما ساعدت الممرضة راشيل على ارتداء ملابسها. قال لها عندما أتت ورأى الألم والتعب في وجهها: «هيا دعيني أوصلك إلى المنزل لترتاحي في سريرك».

- جلّ ما أحتاجه هو جلب أحدهم لإصلاح الثقب الذي أصاب منزلي.

قادها نحو الباب وخرجا.

- كل ما عليك أن تقلقي حياله هو أن تتحسن صحتك.

توقفا عند الشاحنة وقالت: «أتمنى أن أفعل ولكن على أحدهم

الاهتمام بسير الأمور. أحتاج لاستخدام أحدهم لمساعدتي».

رفع كول عربة هانا إلى المقعد الخلفي وثبّتها في مكانها بأمان ثم أغلق الباب ورافق راشيل إلى المقعد بجانب السائق.

-تستطيعين أن ترتاحي لفترة من هذا العبء.

- لا أستطيع، فأنت سترحل وستبدأ مدرسة جوش بعد بضعة أسابيع.

اخترقته نظراتها العنيدة، فهي لن تطلب منه المساعدة ولو كانت حياتها تعتمد عليها.

- سي لن يتمكن من تدبر الأمور وحده.

وضع كول إصبعه على شفتيها ليسكتها، لكنه اقترف خطأ بملامستها. فسحب يده بسرعة وقال: «اهدئي للحظة، سأتمكن من إخبارك كيف ستتم الأمور. فأنا سأبقى».

اتسعت عينا راشيل دهشة وقالت: «لكنك تريد الرحيل، فأنت من قال..».

- أعلم ماذا قلت، لكني لن أتركك وأنت بالكاد قادرة على الحراك.

- يمكنني تدبر أموري كول.

- لا شك في ذلك ولو كان الأمر يعني موتك لكني سأبقى كي أساعدك حتى تتحرري من الطبيب. وهكذا، لن تتخلصي مني إلا إن استطعت ركلي فعلياً.

تمعنت فيه لوقت طويل وقالت: «اسمع كول، لست مضطراً لفعل ذلك، يمكنني أن أدفع أجر عامل آخر».

يا إلهي كم هي عنيدة!

- أعلم ذلك. لكن تدريب أحدهم وإجراء التصليحات عمل كثير

في هذه الفترة لا سيما وأنت طريحة الفراش.

توترت أعصابها وهي تقول: «لدي أمي لتساعدني مع هانا. وأستطيع التعامل مع عامل جديد في المزرعة».

هل تود التخلص منه إلى هذا الحد؟

- لماذا يصعب عليك تقبل المساعدة؟ إلا إذا كنت لا تريدين أن أبقى.

أشاحت بنظرها عنه للحظة ثم عادت تنظر إليه لتقول: «لست بحاجة لصَدَقةٍ منك يا كول. أعلم إلى أي مدى ترغب في الانتقال..».

كان ليضحي بأي شيء لئلا يضطر إلى اتخاذ قرار الرحيل.

- سيكون ذلك أفضل لنا.

- ماذا إن لم أوافق؟

مدَّ يده يلامس خدها الذي كان ناعماً نعومة الأطفال. وسارع إلى سحب يده وقال: «نعلم كلانا أن لا مستقبل لي هنا.. لكنك بحاجة إلي في الوقت الراهن راشيل. لذا دعيني أساعدك».

المشكلة هي أنه بدأ يشعر بحاجته الماسة لها أيضاً.

- حسناً، ستحصل على علاوة إذاً.

فتح فمه ليعترض لكنها سارعت تقول: «إما أن تقبل وإما أن ترحل».

ابتسم لقوة تصميمها وقال: «تضعينني أمام خيارين صعبين».

* * *

استطاعت راشيل أن تسمع صوت كول يناديها لكنها لم تتمكن من فتح عينيها.

- هيا حبيبتي، استيقظي.

همست وهي تنعم بدفء قربه: «كول..».

- هذا صحيح، افتحي عينيك من أجلي راشيل.

تنهدت متألمة: «أشعر بالألم».

- أعلم، لكنك ستشعرين بالتحسن بعد تناول حبة الدواء.. ثم إني بحاجة لأن أنظر في هاتين العينين الجميلتين.

طرف بعينيها وعملت على التكيف مع الضوء من المصباح بجانب سريرها كما شعرت بذراع كول تحيط بكتفيها، وهو يسندها لتجلس. أحسَّت بقليل من الدوار لكنها تمكنت من التركيز، وأدركت أن ثمة رجل في سريرها فرفعت نظرها إليه وقالت: «كول».

ضحك قائلاً: «وهل كنت تتوقعين شخصاً آخر؟».

ألقت رأسها على صدره. كان من الرائع أن تجده معها: «لن أقول لك».

- حسناً، أنا كل من لديك الآن. أريني عينيك الرائعتين.

رفعت رأسها وفتحت عينيها وطرفتهما حين أضاء نوراً خافتاً، فأسرع يطفئه وقال: «كيف تشعرين؟».

- ناعسة وجسمي يؤلمني.

عاد يلقي رأسها على الوسادة وفتح قنينة ماء وأعطاها حبة دواء وقال: «خذي سيساعدك هذا».

تناولت الدواء وشربت الماء ثم غرقت في الوسادة متعبة. التفتت فرأت كول يرحل فهمست: «لا ترحل..».

استدار نحوها وقال: «سأتفقد هانا».

الطفلة! دفعت الغطاء بسرعة عنها لتنهض وهي تقول: «هانا، يجب أن أطعمها».

عاد كول إليها ومنعها من النهوض قائلاً: «أطعمناها.. منذ ساعة».

اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «لم أسمعها تبكي حتى».

جلس بقربها على السرير وضمها إليه: «هذا لأني وجوش وسي لم نشأ أن تسمعيها. أنت متأذية راشيل، دعينا نساعدك».

شعرت أنها ضعيفة وهي تحاول أن ترفع نظرها إليه: «أظن أن لا خيار لدي».

ابتسم لها فأحبت ابتسامته. لا شك في أنها تحب هذا الرجل. بدأت تحسّن بتحسّن في رأسها لكن الأمور بقيت مشوشة قليلاً. لكنها عانقته وقالت: «شكراً لك كول، أشكرك كثيراً على اهتمامك بي. لا تتركني أرجوك».

ابتعدت عنه لترى أن عناقها أذهله.

ردّها على الوسادة وهو يقول لها: «لن أتركك الليلة».

كان ذلك أشبه بحلم لا تريد أن تصحو منه.

بعد أن أمضت الأيام الثلاثة الماضية في الفراش، شعرت راشيل أنها على حافة الجنون، وتوقفت عن تناول الحبوب لأنها تشعرها بالنعاس.

أكثر ما أزعجها هو عدم تمكنها من الاهتمام بهانا لكن آيمي كانت تقوم بعمل رائع.

انتقلت الفتاة المراهقة إلى المنزل للاهتمام بالطفلة بدوام كامل، أثناء تماثل راشيل للشفاء، ما أسعد جوش فصار يختلق الأعذار للمجيء إلى المنزل أثناء فترة النهار، كما تحمّس للمساعدة في تحضير العشاء وغسل الصحون.

كانوا يقومون بكل شيء من أجلها. وبعد أن تعبت من الاستلقاء في الفراش، بدأت راشيل تضع الخطط لتزيين غرفة هانا. ووجدت بسهولة عناوين متاجر عدة ومئات الأفكار على الإنترنت.

لم تكن غرفة الطفلة وحدها بحاجة للدهان، فالحماسة دفعت براشيل إلى وضع خطط طالت غرف المنزل كله.

أرادت راشيل منزلاً جديداً.. فرحاً. ولم لا؟ فهي تبدأ حياة جديدة. كانت الابتسامة لا تزال على ثغرها حين ظهرت آيمي في الباب. لم تبد الفتاة بحالة جيدة.

- تركت هانا تأخذ قيلولتها.

سألتها راشيل وهي تنهض من السرير: «ما الأمر؟ آيمي ما بك؟».

- لا أشعر أنني بحال جيدة يا راشيل. اتصلت بأمي فقالت إنه لا يجدر بك الاقتراب مني. تعتقد أني التقطت الزكام من إخوتي عند زيارتهم لنا بالأمس.

وتنهدت الفتاة ثم خرجت من الغرفة مسرعة.

بعد نصف ساعة حضرت ماري لأخذ ابنتها المريضة إلى المنزل، وقالت إنها ستعود للمساعدة. وحضر سي إلى المنزل وقال: «جوش ليس بخير».

- آيمي أيضاً وقد رحلت مع أمها.

قطب سي جبينه وسألها: «هل ستتمكنين من تدبر أمورك هنا؟».

كانت ذراع راشيل لا تزال تؤلمها، لكنها ردّت: «أظن ذلك، هانا تأخذ قيلولتها الآن».

ثم اتجهت إلى البراد وأحضرت قنينة عصير ومن ثم إلى الخزانة لإحضار بعض البسكويت وقالت: «خذ هذه لجوش واحرص على أن يلازم الفراش. لكن لا، انتظر! ربما يجدر به الانتقال إلى المنزل كي أهتم به».

- لا أظن أن الفتى قادر على الانتقال إلى أي مكان فهو ضعيف جداً. كما لا أريدك أنت أو هانا أن تلتقطا العدوى.

وبعد بضع ساعات كان سي نفسه قد التقط العدوى ولجأ إلى الفراش. كانت راشيل في المطبخ مع هانا حين وصل كول حاملاً حقيبة فقال: «أظنك علقت معي».

- لماذا؟

- يبدو أني الوحيد المتبقي للعناية بك وبهانا، أين تريدين أن أنام؟

٨ - ألم الغيرة

كان المنزل هادئاً تلك الليلة والكل في سريره نائماً. أمضى كول فترة المساء يتجادل مع راشيل حول انتقاله للنوم في المنزل إذ أصر على أنَّ بإمكانه البقاء في منازل العمال.

تمنى لو أنه ينام هناك فعلاً فلا يضطر للبقاء مفتوح العينين يفكر في المرأة الجميلة النائمة في الغرفة المجاورة. حاول أن يفسر مشاعره بطريقة عقلانيَّة فعزا السبب إلى أنه لم يكن بصحبة نساء منذ وقت طويل، لكن هذا لم يخفف من توتره، ولم يمح حقيقة انجذابه إليها منذ اليوم الأول لوصوله إلى بار أتش.

كان كول يعلم تماماً أن لا فائدة من تلك المشاعر فهو مجرّد عابر سبيل.

وفجأة سمع صوتاً خفيفاً، فأدرك أن هانا مستيقظة. نهض ولبس سرواله ونزل إلى غرفة الطفلة البديلة إذ أعيد ترتيب غرفة الخياطة بحيث أصبحت تتسع لسرير الطفلة.

استعان كول بالضوء الخافت في الغرفة ليشق طريقه إلى سرير هانا التي وجدها مستيقظة تنظر إليه بعينين واسعتين.

انقبض صدره وهو يقول: «انظروا من استيقظ».

أطلقت الطفلة صرخة وبدأت تحرّك يديها وقدميها بحماس.

- أعتقد أنَّك جائعة.

رفعها ونقلها إلى طاولة تبديل الملابس محاولاً أن يتذكر تعليمات

www.elromancia.com

راشيل. إنه بمفرده الآن فإلى أي مدى يمكن أن يلاقي صعوبة؟

نجح في نزع الحفاظ ووضع آخر جاف وإعادة لصقه، وبعد أن ألبسها ثيابها رفعها ووضعها في العربة وأخذها إلى المطبخ.

سمعت راشيل بكاء هانا فقاومت رغبتها في الذهاب إليها. وبعد برهة قصيرة لمحت طيف كول يمر ببابها. ولم تتمكن من كبح فضولها الذي دفعها إلى خارج السرير فوضعت عباءتها فوق ملابس النوم وخرجت. لم يكن هذا يعني أنها لا تثق بقدرات كول لكن ماذا لو احتاج مساعدتها؟ كما أنها تفتقد تلك الأوقات التي تمضيها مع الطفلة.

نزلت راشيل السلالم وتبعت الضوء الخافت الذي يؤدي إلى المطبخ ثم توقفت عند غرفة الطعام حين سمعت صوت كول.

- إذاً، أنت تفتقدين أمك، أليس كذلك؟ بالطبع تفعلين لكن عليك تحمّلي لبضعة أيام بعد، سوف تتحسَّن سريعاً لكنها الآن بحاجة للراحة. لست بهذا السوء، صدقيني.

أصدرت هانا بعض الأصوات المضطربة.

- لا تصرخي بوجهي أيها الملاك الصغير. فأنا كل ما لديك الآن، حتى أن العم سي طريح الفراش وجوش أيضاً. أعلم أنك تشعرين وكأن الكل هجرك لكني أعدك أنهم سيعودون سريعاً.

بدأت الصغيرة تطلق أصواتاً مرحة.

- هذا أفضل، والآن ما رأيك ببعض الحليب كما وعدتك؟

حاولت أن تبقى مختبئة، واسترقت النظر من شق الباب، لترى كول العاري الصدر يجلس على كرسي بجانب الطاولة. اغرورقت عيناها بالدموع وهي ترى الرجل الضخم يحضن الصغيرة ويضعها على صدره، يا لها من طفلة محظوظة!

قال برقة وهو ينظر إلى هانا: «أنظري إلى نفسك. متى ستبدئين

باستخدام أسنانك؟ صحيح أنه ليس لديك أسنان بعد. أراهن أنك سترغبين في بعض حبوب الفطور مع الحليب».

ابتسم لها فأحست أن قلبها انقبض.

أفلتت هانا القنينة من فمها وأصدرت بعض الأصوات غير المفهومة.

وكأن كول شعر بوجود راشيل فرفع نظره نحو الباب وقال: «راشيل! لم أسمع وقع خطواتك».

دخلت ولامست رأس الطفلة: «أظنك كنت شديد الانشغال».

- هل أيقظناك؟

- كلا، بل أظنني اعتدت الاستيقاظ في هذا الوقت. هل تمانع أن أبقى؟

أحبت كيف أن هانا تبعت مصدر صوتها بعينيها.

- بالطبع لا، ولماذا عساي أفعل؟

سحبت كرسياً فاشتمت رائحة الصابون الممزوجة برائحة الرجل الخاصة. قبلت أعلى رأس الطفلة ورفعت نظرها إلى عيني كول الرماديتين اللتين تحدقان فيها، وقالت: «يبدو أنك كنت تخبيء هذه الناحية من شخصيتك».

لم يكف عن النظر في عينيها وهو يقول: «ما من «هذه الناحية» أصلاً في شخصيتي، لكني أعتقد أننا جميعاً نتصرف بسخف نوعاً ما حين نتحدث مع الأطفال».

ترددت وهي تشعر بأنفاسه على وجهها: «أنت بارع جداً فقد استجابت الطفلة لك».

- إنها بغاية الروعة.

كانت راشيل تدرك تماماً مدى صعوبة هذا بالنسبة إليه فقالت:

«أقدر لك اهتمامك بهانا. أعلم أن هذا ليس سهلاً عليك».

واستطاعت أن ترى موجة العواطف قبل أن يشيح بنظره قائلاً: «يمكنني تدبر أمري».

- مع ذلك لا بد أن هذا يثير لديك الكثير من الذكريات.

هز كول رأسه راغباً في تجاهلها لكن راشيل لم تتركه في حاله. وبأنانية مطلقة أرادها ألا تفعل. أرادها هنا بجانبه وتاق للإحساس بها قريبة منه ولتنشق عطرها الأخاذ. ومع ذلك كانت تذكره دوماً بما لا يستطيع الحصول عليه، من دون أن يتمكن مع ذلك من أن يكبح ظمأه لها. وهذا أكثر ما يخيفه.

وضع هانا على كتفه يساعدها على التجشؤ قائلاً: «أشك في أن أتمكن من النسيان يوماً».

لطالما أراد تأسيس عائلة لكنه أفسد كل فرصة للحصول على ذلك.

- آسفة كول.

هز رأسه وقال: «لقد كان هذا منذ وقت طويل».

حبس مشاعره جيداً. لكن إن أصرت راشيل أكثر... ثم لامست إحدى ذراعيه. كانت رقتها أكثر مما يستطيع أن يتحمّل. وعمل جاهداً لصب اهتمامه على هانا، لكنه لم يستطع. ليس بوجود راشيل قريبة منه إلى هذا الحد.

همست وهي تميل إليه: «لم يمر ما يكفي من الوقت لتنسى».

- بعض الأمور لا تتركنا مطلقاً ولا ننساها.

غدت حاجة كول لراشيل عميقة بحيث لا يمكن إنكار وجودها فأغرق رأسه في كتفها وطوق خصرها باليد المحررة. تنهدت عميقاً فزاد ضغطه فيما أخذت تلامس ذراعه وتمرّر أصابعها في شعره بحنان. منعته الطفلة التي يحملها من أخذها بين ذراعيه، فابتعد عنها يحاول أن يسترد

قوته.

- راشيل.. التعلق ببعضنا أكثر ليس حكيماً. لا تجعلي مني شخصاً مخالفاً لحقيقتي، فعاجلاً أم آجلاً سأخذلك وأخيّب أملك.

هزَّ الطفلة التي كانت نصف نائمة ووضعها في عربتها وبدأ يجرها مضيفاً: «يستحسن بي أخذها إلى السرير».

همَّ بالخروج من المطبخ آملاً ألا تناديه راشيل ليعود. تمنى في الوقت ذاته أن يهرع إلى دفء أحضانها وينسى بين ذراعيها كل الألم... وذكريات الماضي.

قال دوغ ويلز صباح اليوم التالي: «آسف راشيل أني لم أكن معك».

نظر إلى مجموعة العمال الذين يقومون بإصلاح السقف وأضاف: «لم أعلم بما حدث لك إلا بعد عودتي إلى البلدة الليلة الماضية».

- لا بأس، أنا ممتنة لأن العاصفة لم تؤذِ سوى المنزل.

نظر إلى ذراعها المعلّقة وسأل: «لكنك تأذيت؟».

أجابته بابتسامة مشرقة: «إنه جرح بسيط دوغ. أشكر الله لأن هانا لم تصب بأذى. قال الطبيب إني سأكون بخير في غضون بضعة أيام».

لم تتوقع راشيل حضوره في الثامنة من صباح اليوم التالي. ولعل هذا جيد نظراً لقلة كلام كول أثناء اهتمامه بهانا.

- كما ترى، كادت أعمال الترميم تنتهي. كنت بحاجة لتغيير السقف بجميع الأحوال وإلى القيام ببعض التصليحات الأخرى.

- كيف تتدبرين أمورك مع الطفلة؟

- لدي كول وأيمي لمساعدتي.

- إن كان هناك ما أستطيع فعله...

رفعت يدها بحركة تشير إليه بالتوقف عن الكلام وقالت: «أقدر لك عرضك دوغ، لكني بخير فعلاً. كما أنَّ هذا يتخطى واجباتك».

ابتسم لها التاجر الوسيم وقال: «أنا لا أفعل ذلك بدافع الواجب، بل لأنني أهتم لأمرك راشيل».

لماذا لا تستطيع أن تشعر بأيّ شيء نحو هذا الرجل؟ إنه وسيم ورصين وأبدى اهتمامه بها منذ البداية.

يمكنه أن يكون زوجاً وأباً مثالياً. من السيء أنها لا تهتم لأمره، عليها إخباره بذلك.

- دوغ، كنت رائعاً معي، وساعدتني في تنفيذ العقد، لكن يجب أن أركز كل اهتمامي على هانا الصغيرة، ولست مستعدة لأي علاقة مع أي كان.

نظر إليها دوغ طويلاً، وتنهد قائلاً: «لا أنكر أني شعرت بالخيبة، أظن أنني علمت منذ البداية أنك تهتمين لأمر شخص آخر».

- ما من شخص آخر.

رفع حاجبه وقال: «لست أعمى. أستطيع أن أرى أن ثمة ما يدور بينك وبين باريش. حين تكونان معاً تحلق حولكما طيور الحب».

صدمت راشيل لدقة ملاحظة الرجل لكنها قالت: «لكن كول لا يحبني. وكان يخطط للرحيل طيلة الشهر الماضي».

هز دوغ كتفيه وقال: «لا يبدو لي على عجلة من أمره.. طالما أنه لا يزال هنا».

* * *

قال كول وهو يرفع هانا إلى حوض الاستحمام: «أمك لديها رفقة لذا سنكون أنت وأنا وحدنا».

وهذا لا يعني أنه لا يستمتع برفقة السيدة الرائعة لكنه يكره فكرة اهتمامه بواقع تمضية راشيل الوقت مع رجل آخر.

كفى. ليس لديك الحق في أن تحدّد لها من تلتقي، دعها وحسب

فهي تستحق أكثر مما تستطيع أن تقدمه لها. وتمنى فقط لو أن كلماته الشجاعة تمنع عنه ما يحسّ به تجاهها.

حمل الطفلة بيد واحدة وأخذ المنشفة الصغيرة بالأخرى وبدأ يغسلها بالصابون. رأى هانا تنظر إليه بعينين ملؤهما الثقة فابتسم. إنها تشبه راشيل كثيراً بذقنها الصغير ذي الغمازة وعينيها الواسعتين.

بعد أن غسل شعرها ورأسها تناول المنشفة ولف هانا بها وحملها إلى طاولة المطبخ حيث وضع الغطاء.

قال لها وهو يضعها على الطاولة: «نجحنا».

اختار لها ثوباً زهرياً صيفياً وكان فخوراً جداً بنفسه حين انتهى من مهمته من دون مواجهة الكثير من المشاكل.

وعندما عادت راشيل كان قد وضعها في العربة فقالت: «فوتت حمامها».

تراجع إلى الوراء قائلاً: «انتهيت منه للتو. أتريدين أن تتأكدي مما إذا كانت نظيفة؟»

ابتسمت للطفلة وقالت: «إني أثق بك».

تمنت راشيل لو أنها ترى بعض الاهتمام من هذا الرجل، وأدهشها تصرف كول وكأن شيئاً لم يحصل بينهما وكأنهما لم يتبادلا عناقاً حاراً منذ بضع ساعات فقط.

حسناً، يمكنها أن تلعب اللعبة ذاتها معه.

- مرَّ بي دوغ.

خبت ابتسامته وسأل: «هل من مشكلة في الاستثمار؟».

- كلا، بل كان قلقاً عليَّ وطلب مني أن أخرج معه.

وحوّلت نظرها إلى كول لكنه لم يعلق فشعرت بخيبة. وأضافت: «ربما يجب أن تضعها في السرير لتأخذ قيلولتها».

هز كول رأسه ولحق براشيل إلى الأعلى. لحسن الحظ أن غرفة نوم الطفلة المؤقتة في آخر الرواق بعيداً عن الضجيج.

رتبت راشيل الغطاء بينما وضع كول ابنتها في السرير. خرج من الغرفة وانتظر بينما بقيت لتغني للطفلة لتنام، وأغمضت الطفلة عينيها واستسلمت للنوم فخرجت راشيل بصمت من الغرفة وكادت تصطدم بكول.

سألها وهو يسترق النظر إلى الغرفة: «هل نامت؟».

أومأت تحدق في الرجل الواقف أمامها بقميصه المبلل وكمّيه المرفوعين إلى الأعلى ومنشفة الأطفال الملقاة على كتفيه العريضتين، لم يبدُ يوماً أكثر إثارة. سحبت المنشفة المبللة وقالت: «ربما يجدر بك أن تجفف نفسك وتخلع السترة».

نظر إلى نفسه وقال: «تحب ابنتك اللعب كثيراً».

شعرت راشيل بأعصابها تشتد وهي تسأل: «إنها ابنتي، أليس كذلك؟».

- أجل، إنها كذلك منذ اليوم الأول الذي أحضرتها فيه إلى المنزل.

لمست راشيل ذراعها المجروحة قائلة: «ليتني أستطيع الاهتمام بها».

- ستفعلين، عندما يزيل الطبيب الرباط عن ذراعك.

هزّت برأسها وقالت: «لست معتادة على الجلوس من دون أن أفعل شيئاً».

طوى ذراعيها فوق صدره وقال: «تستحقين وقت الاستراحة هذا. لاحظت أنك تعملين كثيراً منذ وصلت إلى هنا، وإذا أراد أحدهم مساعدتك، تغضبين».

هزت كتفيها: «أنا معتادة على العمل الشاق».

- لم تعودي مضطرة لذلك الآن، بات بإمكانك استخدام عامل.

- يبدو أن الرجال الصالحين قلائل. لم أجد أحداً.

كانت تلك مجرّد كذبة إذ وجدت الرجل الذي تريد لكنها لا تستطيع الاحتفاظ به.

نزل كول السلالم بعد أن غيّر قميصه وأخبر راشيل أنه ذاهب لتفقّد القطيع، لكنه وعد أن يعود قبل أن تصحو هانا.

شعرت راشيل بالاضطراب فذهبت إلى الأعلى وأزالت أغطية الأسرة وجمعت الغسيل وجرّته باليد السليمة إلى الأسفل. وما أن تأكّدت من أن الغسيل بدأ، شرعت تقوم ببعض أعمال التنظيف، وأعادت تسخين الحساء الذي حضرته ماري في المنزل قبل أن يمرض الجميع.

بعد دفعة أخرى من الغسيل، ونظرة سريعة على هانا، عدّلت راشيل غطاء طنجرة الحساء وذهبت إلى منازل العمال لتفقد جوش وسي.

كان رئيس العمال لا يزال مستلقياً وقد بدا شاحباً عندما سألته: «كيف حالك؟».

- يجب ألا تكوني هنا راشيل.

- على أحدهم أن يعتني بك.

بدا ضعيفاً جداً وهو يحاول الجلوس في السرير وقال: «أستطيع الاعتناء بنفسي».

دسّت راشيل وسادة أخرى خلف رأس سي: «أعلم أنك تستطيع لكني أودّ المساعدة. ما رأيك بقليل من حساء الدجاج؟».

- إن كنت أنت من حضّره فأحب أن أتناول القليل.

وضعت له الطبق على الطاولة قرب السرير ثم ذهبت إلى غرفة جوش.

وجدته يشاهد مباراة كرة الطائرة فقالت له: «يبدو أنك أحسن حالاً

اليوم».

ضحك جوش وقد زال عنه الشحوب: «أهلاً راشيل. أشعر أني أفضل اليوم، كما أنّني جائع».

- حسناً، هذه إشارة جيدة، وقد جلبت لك بعض الحساء.

جلس يتناول طبق الحساء منها وهو يقول: «رائع، إن أردت، يمكنني أن أساعد كول في القيام بأعمال فترة بعد الظهر».

- أعتقد أنه يجب أن تبقى في السرير حتى الغد. يمكن لكول تدبر أمره.

قطّب وقال: «كنت آمل أن أتمكّن من الاتصال بأمي، لأطمئن إلى حالها».

- ما رأيك في أن أتصل بأمها وأسأل عنها؟

لم يتمكن جوش من إخفاء خيبة أمله وهو يقول: «حسناً، لكن ما رأيك لو تخبريها أني أتمنى أن تكون بحال أفضل؟».

وافقت راشيل على ذلك وجمعت الملابس المتسخة وعادت إلى المنزل لتبدأ دورة جديدة من الغسيل.

عندما دخل كول إلى المطبخ كانت راشيل قد وضعت قطعة لحم كبيرة في القدر فوق الموقد وبدأت تحضر الحليب لهانا.

قال وهو يعلّق قبعته على الحائط: «آسف لتأخري، علق حمل في السياج».

كانت تعلم مدى أهمية الحملان بالنسبة للمزرعة فسألت: «وهل سارت الأمور على ما يرام؟».

حمل الصابونة ليغسل يديه: «نعم، كان لدي مرهم مطهّر في الشاحنة. سأتفقده بعد أيام».

وسمعا صوتاً مألوفاً فقال: «يبدو أن الأميرة استيقظت».

ابتعد وعاد بعد بضع دقائق حاملاً هانا.

سألته راشيل: «هل تعتقد أني أستطيع إطعامها؟ سأحملها على الذراع السليمة».

- حسناً، لكن لِمَ لا تجلسين على الأريكة؟

وتوجهت نحو غرفة الجلوس وجلست على الأريكة.

لم يمانع في التنازل عن هذه المهمة بعد أن رأى مدى حماستها. وضع الطفلة في حضن راشيل فأسندتها على الفور ما جعل ذراعه تعلق بين جسمها والطفلة. سحب يده وهو يعتذر منها من دون أن يفوته الأثر الذي تركته اللمسة عليها. سرت رعشة قوية في كل أنحاء جسمه فسارع إلى الجلوس على الأريكة قبالتها.

عليه أن يفكر في موضوع آخر.. بسرعة.

- هل يشعر جوش ومي بما يكفي من التحسن لتناول الطعام؟

- أخذت لهما بعض الحساء منذ ساعة. جوش يشعر بتحسن، ويريد أن يرى أمي بأي طريقة.

- وكيف تشعر أمي؟

- اتصلت بماري وقالت إنها تشعر بالتحسن وتريد العودة غداً.

ثم نظرت إليه بتساؤل وأضافت: «هل تمانع أن تبقى ليلة أخرى بعد؟».

أجل يمانع، فهي قريبة جداً ولا يفصل بين غرفتي نومهما سوى جدار حتى أنهما يتشاركان الحمام ذاته.

كان هذا يقتله، وقال: «كلا».

رن الهاتف وذهب كول يجيب من المطبخ.

- مرحباً، دوغ ويلز يتكلم، هل راشيل موجودة؟

تعكّر مزاج كول فجأة وقال: «سأناديها، لحظة واحدة».

ذهب إلى غرفة الجلوس وأخذ هانا وهو يقول لها: «إنه دوغ ويلز».

- دوغ؟ ما الذي يريده؟

قال وهو يستلم الطفلة منها: «لا أملك أدنى فكرة».

أسند كول الصغيرة إلى كتفه فيما توجهت هي إلى المطبخ.

وبعد بضع دقائق سمع ضحكها. يا له من أمر رائع! ماذا لو كان الرجل يعجبها. ويلز يبدو رجلاً صالحاً.

عادت راشيل وقالت: «يبدو أن دوغ نسي مناقشة مواعيد بدء العمل معي».

- ألا يستطيع إرسال تاريخ البدء عبر البريد الإلكتروني؟

هزت كتفيها وردّت: «يريد مناقشتها معي شخصياً».

- أراهن على ذلك!

سألته: «ماذا قلت؟».

- لا شيء، إني أفكر بصوت عالٍ فقط.

- حسناً، دعوته على العشاء، كان لطيفاً معي دوماً.

بعد أن تجشأت الطفلة، أعادها كول إلى عربتها وحرّك القبضة بحيث بدأت لعبتها المفضلة تتراقص أمام عينيها.

- أظن أن نوايا الرجل مختلفة، ولا تتعلق بالعمل إطلاقاً.

واستدار خارجاً من المطبخ مدركاً أنه يتصرف بحماقة لكن راشيل كانت تدفعه إلى القيام بكل ما هو غير عقلاني.

في وقت لاحق من فترة بعد الظهر، ومع عودة هانا للنوم، أنهت راشيل الغسيل. استبدلت أغطية سريرها ثم ذهبت لغرفة كول. كان عليها تغيير الشراشف قبل مجيئه إلى المنزل، لكن الفرصة لم تتسنّ لها. استلزم العمل وقتاً أكثر من اللازم وهي تستخدم يداً واحدة لكنها ثابرت إلى أن رتبت الشرشف جيداً. وعادت إلى الأسفل وجلبت كومة

من الملابس الداخلية النظيفة والجوارب والقمصان.

كانت تعلم أنه سيغضب لأنها قامت بغسل ملابسه، لكنه قام بكافة الأعمال في اليومين الماضيين. رأت أن وقتاً طويلاً مضى منذ اهتم أحدهم بكول. وفيما هي تضع الثياب في الخزانة رأت هاتفه الخلوي وقطعاً نقدية عدة، لكن إحداها بدت مختلفة عن البقية. حملتها بيدها فأدركت أنها ميدالية بيضاوية الشكل تحمل صورة ملاك ينظر إلى طفل. قلبتها فرأت الكلمات المحفورة عليها: ليحفظ الله ابننا.

أهو ابن كول؟

شعرت راشيل بثقل في صدرها وهي تفكر بالظلم الذي يحسّ به كول كلما نظر إلى الميدالية.

شعرت راشيل أنها ليست وحدها فرفعت نظرها لترى كول يقف في الباب. أعادت الميدالية إلى مكانها وقالت: «كول كنت أضع بعض الملابس النظيفة، ورأيت هذه».

ظلّ صامتاً من دون أن ينطق بكلمة.

- هل هذه لابنك؟

دخل الغرفة وحمل الميدالية ثم قال بنبرة رقيقة: «كان من المفترض أن نعلقها فوق سريره، أعرف أنه من السخف الاحتفاظ بها. لكن شخصاً عزيزاً أعطاني إياها».

وعاد يتفحص القطعة التي يحملها.

فسألته راشيل: «هي زوجتك؟».

كرهت شعورها بالغيرة لكن هل لا يزال يحبها؟

التوت شفتاه وهو يقول: «كلا، لم ترغب جيليان بوجود شيء في غرفة الطفل لا يحمل اسم مصمّم شهير».

تشابكت نظراتهما وهو يضيف: «لوريتا سيمونز أعطتني إياها. إنها

الآنسة التي تأخذ الحالات الاجتماعية إلى مزرعتها. عشت هناك أيام المراهقة. وهناك تعلمت ركوب الخيل».

لم يكن لكول عائلة.

- وكم من الوقت أمضيت في ذاك المكان؟

- منذ كنت في العاشرة.

- ماذا عن والديك؟

هز كتفيه وأجاب: «لم تكن أمي واثقة من هوية أبي. وحين بلغت سن العاشرة، أخذتني الهيئة الاجتماعية لأن أمي لم تتمكن من الاعتناء بي بسبب إدمانها».

- كول!

تصلّب وهو يقول: «لا تشفقي عليَّ راشيل. تخطيت مرحلة الطفولة منذ سنوات».

- ما من أحد يتخطّى خسارة والديه.

كانت تعلم معنى رحيل أفراد العائلة. ومسحت دمعة تمنت لو أنها تكف عن إزعاجها وقالت: «ليست شفقة كول، لكنني أفهم ما تعنيه».

ظل صامتاً لبرهة ثم قال: «كان الأمر ليختلف مع ابني. كنت لأتواجد دوماً من أجله. فعلاً. لكني لم أرتب أولوياتي إلا بعد فوات الأوان».

- لا أصدق ذلك.

- بل صدقي. كنت مأخوذاً بحلم النجاح. كنت أعمل لوقت طويل ولا أعود إلى المنزل، ومن ثم دخلت جيليان في المخاض قبل أوانها.

استطاعت أن ترى الألم يسيطر على ملامحه فهو يلوم نفسه.

- هل كنت أنت السبب في أنها اضطرت لأن تلد؟.

هز كول رأسه وردَّ: «قال الطبيب إنه ما من سبب واضح لبدء

الطلق مبكراً عند جيليان وحصلت مضاعفات جراء عدم اكتمال رئتي الولد فلم ينجُ.

اقتربت راشيل منه ووضعت ذراعيها حول خصره، قائلة: «أنا آسفة كول، لكن الذنب لم يكن ذنبك، فتلك أمور تحصل، وعليك أن تسامح نفسك كول. دعني أساعدك».

جعلته يستند إليها وحسب تريد أن تأخذ بعضاً من شعوره بالأذى.

- أنا بخير.. حصل هذا منذ زمن بعيد.

لكنه لم يكن وقتاً كافياً ليجعله يقفل ذاك الباب على الماضي.

وقفت على رؤوس أصابعها وطبعت قبلة خفيفة على جبينه: «لا بأس في أن تسمح لي بمساعدتك. أريد أن أكون بجانبك».

أخذ نفساً عميقاً وقال: «راشيل، يصعب عليَّ السماح للآخرين بمساعدتي».

قالت وهي تدرك مدى عمق حزنه: «لكني هنا بجانبك، كول».

همَّ بضمّها إليه حين سمعا طرقاً على الباب أفسد عليهما سحر اللحظة.

فاشتدت أعصاب كول وتراجع إلى الوراء قائلاً: «وصل ضيفك».

أغلق على نفسه مجدداً. لكنها لن تستسلم فهذا الرجل يعني لها الكثير.

٩ - وانكسر السحر

بعد انتهاء العشاء مباشرة، اعتذر كول وأخذ القنينة ليطعم هانا لكنه لم يعد. قال لنفسه إنه لن يزعج راشيل وضيفها.

وقف عند نافذة غرفته ينظر إلى المراعي التي يضيئها نور القمر. لطالما ساعده المنظر على الاسترخاء، لكنه لم ينجح الليلة وهو يسمع صدى الضحكات من الطابق السفلي. وسادت فترات صمت جعلته يتخيَّل مختلف السيناريوهات.

أكثر ما يكرهه هو وجود راشيل برفقة رجل آخر. ومع أنه لا يملك الحق في الشعور بالتملك إلاَّ أنه يفعل.

عليه أن يغيّر سلوكه سريعاً لأن هانا أفاقت وهي تشعر بالجوع. لم يستطع الانتظار أكثر فهبط السلالم ما إن أغلقت البوابة وأدار ويلز شاحنته.

عبر كول المنزل ليجد راشيل في المطبخ. كانت ترتدي القميص والتنورة الملونة القصيرة التي تصل إلى ركبتيها وتظهر ساقيها الجميلتين. تجاهل تسارع نبضات قلبه ولاحظ أن حمَّالة ذراعها المجبَّرة ملقاة على الطاولة. كانت تحاول الوصول إلى رف مرتفع لتضع الصحون، فصرخ فيها: «لكن ماذا تفعلين؟».

قفزت راشيل من مكانها وانزلقت الصحون من يدها ووقعت على الأرض فتحطمت.

- لقد أخفتني، كول.

سارع إليها يأمرها: «لا تتحركي».

رفعها ووضعها على الطاولة مضيفاً: «ابقي هنا، سأجلب المكنسة».

شعرت راشيل بالغضب، ليس بسبب تحطم الصحون بل لأنها سمحت للرجل بإخافتها. وشعرت بغضب أكبر من نفسها لأنها ظنت أن دوغ قد يثير غيرة كول. الأمر المحزن هو أنها لم تستطع أن تحرك شعوره نحوها.

عاد كول وبدأ برفع القطع الكبيرة عن الأرض فرفعت ركبتيها وغطتهما بالتنورة قائلة: «إن أحضرت لي حذائي، فسأساعدك».

بدأ يكنس القطع المحطَّمة ويرميها في سلة المهملات وهو يقول: «سببت هذه الفوضى كلها وسأنظفها بنفسي».

عندما سمعت صراخ هانا، رفضت راشيل أن تبقى في مكانها أكثر وقالت: «لا تكن عنيداً كول، وأحضر لي حذائي، إنه وراء الباب الخلفي».

جلب حذاءها وسلَّمها إياه مع المكنسة قائلاً: «لا بأس، سأنهي العمل هنا».

نزلت راشيل عن الطاولة بعد أن انتعلت حذاءها وأمسكت بالمكنسة تحاول أن تفهم لما كان كول غاضباً منها إلى هذا الحد.

- هل فعلت ما يغضبك؟

- ما كان يفترض بك أن تستعملي ذراعك.

- لم أفعل ذلك.. حتى اليوم. أشعر أني بخير حقاً.

أخذ قنينة هانا وخرج من المطبخ وهو يقول: «يسرني سماع ذلك».

لحقت به إلى غرفة ابنتها. كانت هانا تتقلب عندما اقتربت من العربة: «مرحباً يا حلوتي».

هدأت الطفلة قليلاً لكنها لن تستكين تماماً إلا بعد أن تأكل. رفعها

كول وحملها إلى طاولة تغيير الحفاظات ثم تراجع خطوة بحيث تتولى راشيل العمل.

لم تتردد في تبديل حفاظ ابنتها ثم رفعتها بحذر بين ذراعيها. كانت لا تزال تشعر بالألم لكنها لم تسمح لكول بأن يعرف. أخذت القنينة منه وجلست في الكرسي الهزاز وبدأت تطعمها.

رفعت نظرها لترى أن كول خرج فانقبض قلبها. مهما شعرت بالقرب منه على مدى الأسبوع الماضي فهو قد عاد ليبتعد عنها.

حاولت التركيز على هانا التي بدت سعيدة بوجود والدتها معها: وبعد أن انتهت الطفلة من تناول الحليب وتجشأت، حملتها راشيل إلى السرير ووضعتها فيه. فتحت هانا عينيها ثم أغمضتهما وغطت في نوم عميق.

غطتها راشيل بغطاء رقيق وقالت لها: «نوماً هنيئاً يا حلوتي».

وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

الآن، لديها رجل تتحدث إليه ولن تسمح له بأن ينكر مشاعره تجاهها أكثر.

تجاوزت راشيل القاعة متوجهة إلى غرفة الضيوف. وبعد طرق سريع على الباب وقبل أن تفقد أعصابها فتحت الباب ودخلت الغرفة التي لا ينيرها سوى ضوء خافت.

- كول نحتاج لأن نتحدث..

وتلعثمت بكلماتها وقد لاحظت أنه لم يكن مستعداً لرؤيتها، فشعره الداكن لا يزال رطباً إثر الحمام. وكان يلف منشفة حول خصره.

- أريد أن أعرف لما أنت غاضب مني إلى هذا الحد؟

- كلا لا تريدين أن تعرفي، ارحلي راشيل قبل أن أنسى..

وتوقف عن الكلام.

أحسّت فجأة بالشجاعة فقد حان الوقت لتحصل على فرصة لأخذ ما تريد.

- تنسى ماذا كول؟ تنسى شعورك بالانزعاج لأن دوغ جاء لرؤيتي؟

أشاح بنظراته عنها وقال: «ليس من شأني أن أتدخل في رغبتك في رؤية أحدهم».

مشت نحوه وهي ترتجف: «بل هو من شأنك ويعجبني أن تشعر بالغيرة».

هز رأسه وقال: «كلا راشيل ليس من شأني، ارحلي قبل أن أنسى..».

- تنسى ماذا؟ قبل أن تعترف أن لديك مشاعر قوية تجاهي؟

وضعت يدها على صدره العاري فأحبت شعورها ببشرته تحت أصابعها وعشقت دفء بشرته. جال نظرها على كتفيه العريضتين نزولاً إلى ذراعيه المفتولتي العضلات ثم عادت تنظر إلى وجهه لترى الرغبة في عينيه.

قالت بأنفاس متسارعة ونبضات متوترة: لم أشعر بمثل هذه الأحاسيس من قبل. قابلت الكثير من رعاة البقر من قبل من دون أن يتمكن أحدهم من إشعال النيران في قلبي على هذا النحو..».

تسارعت دقات قلبه فأغمض عينيه للحظة وقال: «لا يجدر بك قول ذلك راشيل، أحاول أن أكون نزيهاً..».

اقتربت منه خطوة: «كف عن المقاومة كول ودع الأمور تأخذ مجراها، عبّر عما تشعر به».

تنهد عميقاً وهو يطوّقها بذراعيه ويحضنها بكل ما أوتي من مشاعر وأحاسيس. لم تستطع راشيل أن تتنفس لكنها تحتاج هذا الرجل أكثر من الهواء نفسه.

قال هامساً: «كدت أجن وأنا أفكر فيك مع ويلز».

رغبت في ضربه بعنف.

- هل يجعلك هذا سعيدة؟

تراجعت قليلاً وابتسمت: «هذا جيد كبداية».

قال من دون أن يبتسم: «أريدك راشيل، لم أشك يوماً في الأمر. لكن ليس أمامنا نهاية سعيدة، فلا أستطيع أن أقدّم لك ما يقدمه ويلز».

غدت جديَّة وهي تقول: «لكني لا أريد دوغ، بل أريدك أنت كول».

اشتدت عضلات فكّيه وعاد يغمرها ويذوب في دفئها وينعم بجنّة حبّها. وبادلته هي المشاعر فانصهرا معاً في روعة وانسجام عاشقين طال انتظار أحدهما للآخر وأخذ منهما الشوق كل مأخذ.

كل ما أراده هو سعادتها وهناءها ولكن..

لم ير في حياته امرأة مثلها، لم يصادف أحداً أكثر حناناً ورقة وعطاء. كيف له أن يتركها؟ لن يكفيه عمر بحاله بجانب هذه المرأة.

قطب جبينه مفكراً بعجزه عن البقاء معها طيلة حياته إذ سينتهي به الأمر إلى أن يخذلها، وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك براشيل.. لن يفعل ذلك بالمرأة التي يحب.

تمتمت راشيل اسمه، فهمس: «أرجوك راشيل لا تعذبيني».

وكأنما أحست هانا بالصراع الذي يعيشه، فتعالى بكاؤها، وهكذا، خرج وهرع إلى غرفة الصغيرة. اعتاد في الأيام القليلة الماضية على تمضية الساعات معها. كان الأمر صعباً في البداية إذ ظلت تذكره بولده لكن الحزن خبا رويداً رويداً وبدأ يتعوّد على الطفلة ويحبّها.

وخطر له: «ستضيّع من يدك حباً مضاعفاً هذه المرّة».

وتسلّلت إلى عقله المرأة التي تركها للتو.

ذهب إلى النافذة ونظر إلى المزارع الشاسعة والخضيرة. لم تكن منازل العمال بعيدة وهي بحاجة للإصلاح والطلاء.

لا شك في أن مزرعة بار أتش كانت متعة للنظر في ما مضى. ومع توفر الإمكانات المادية الآن ستعيدها راشيل كما كانت. انقبض صدره وهو يتمنى أن يكون موجوداً ليشهد على إعادة إحياء المكان. قد يتحدث معها بشأن تربية بعض الأحصنة..

لكنه لا يستطيع البقاء.

حان وقت الرحيل، وهذه المرّة سيترك وراءه أكثر مما كان يتخيل. سيترك قلبه هنا.

أيقظت شمس الصباح الدافئة راشيل فجلست في السرير تنظر إلى الساعة التي كانت تقارب الثامنة.

وعادت بالذكرى إلى أحداث الليلة الماضية وحديثها مع كول وسماعها اعترافاته وعناقهما، لكنه تركها ليهتم بهانا. وشعرت بمزيد من الإعجاب والتقدير والحب نحو هذا الرجل المعطاء.

قفزت من السرير وأخذت حماماً سريعاً وارتدت ملابسها استعداداً ليوم عملٍ آخر. نزلت إلى المطبخ بعد نصف ساعة آملة أن تكحل عينيها برؤية كول مع الصغيرة لكنها وجدتها مع آيمي.

جاهدت راشيل كي تبتسم وهي تقول: «صباح الخير آيمي».

- مرحباً راشيل.

- تبدين أفضل حالاً مما كنت عليه ذلك اليوم. كيف حالك الآن؟

أجابت الفتاة وهي تضع الطفلة في العربة: «أفضل حالاً، آسفة لأنني تركتك وحيدة مع هانا».

رفعت راشيل ذراعها الذي أصيب وقالت: «لم يكن الأمر بيدك، كما أني بخير، ومع ذلك أريدك أن تهتمي بالطفلة لبضع ساعات خلال

النهار إلى أن تبدأ المدرسة».

- بسرور.

دخل جوش مسرعاً وقال وهو يضع السلة: «أحضرت البيض راشيل، لقد استيقظت. هذا جيد، يمكننا أن نأكل».

وضحك للطفلة في العربة مضيفاً: «قال لنا كول أن نتركك نائمة لأنك سهرت الليلة الماضية بسبب هانا. أنا وآيمي بدأنا. كنا ننتظر البيض فقط».

كول. أين هو يا ترى؟ تمنت لو كانت أول من رآه.. وحده. وسألت: «أين كول؟».

- امتطى الجواد باكراً ليتفقد القطيع. قال لنا ألا ننتظره على الفطور.

وبينما كان المراهقان يطوفان في أرجاء المطبخ، غرقت راشيل في كرسيها تحاول ألا تبدو خائبة. لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في أنه يتجنبها.

صعد كول السلالم. لم يعد يحتمل تجنب راشيل أكثر. لقد أثرت فيه أحداث الليلة الماضية على نحو لم يكن مستعداً لمواجهته. احتاج أن يبتعد لفترة، لذا حين وصلت آيمي هذا الصباح سلّمها هانا ثم ذهب إلى الحظيرة حيث أخذ ديوك وانطلق في نزهة.

لم يساعده ذلك أو يخفف عنه فراشيل بقيت حاضرة في ذهنه وفي روحه وقلبه. لقد أخطأ في تماديه بحبها إلى هذا الحدّ إذ لن يغيّر هذا شيئاً، ما زال عليه أن يرحل.

سمع ضحكات آتية من المطبخ. إنهم أفراد العائلة، عائلة راشيل وليس عائلته هو، ولن تكون كذلك يوماً. انقبض قلبه وكافح ليتماسك مجدداً. أجبر نفسه على الابتسام وفتح الباب. كان الجميع جالساً إلى

المائدة يتناول الفطور.

- صباح الخير.

فردّوا التحية سوياً.

سأله سي: «كيف حال القطيع؟ هل كل شيء بخير؟».

- أجل.

مشى نحو الموقد مدركاً أن راشيل تنظر إليه. ابتسمت له بخجل فأومأ لها وكأنه مجرّد يوم آخر عادي، متجاهلاً كل ما حدث وقيل بينهما الليلة الماضية. ارتجفت يده وهو يرفع البيض من الماء قبل أن يتوجه إلى الطاولة ويجلس.

سأله جوش: «ماذا تريد مني أن أفعل اليوم؟».

ابتلع كول ما في فمه قائلاً: «ربما يجب أن تسأل راشيل. يبدو أنها أصبحت بخير الآن لإدارة شؤون المزرعة».

قالت من دون أن يفوته نظراتها المتألمة قبل أن تلتفت إلى جوش: «أنا أفضل حالاً، ما رأيك لو تذهب إلى البلدة لإحضار بعض الخضار؟».

- أتريدين أن أقود إلى البلدة؟

- أظنك حصلت على رخصة القيادة، أليس كذلك؟

- صحيح.

وماتت حماسة جوش عندما نظر إلى آيمي، فاقترحت راشيل: «آيمي، لمَ لا تذهبين معه؟ هكذا تسرعان في التسوق كما أن لديك هاتف خلوي في حال حصل أيّ طارئ».

وسألتها الفتاة: «ماذا عن الصغيرة؟».

- ستأخذ قيلولتها كما أني اشتقت لتمضية الوقت معها.

حصل جوش على لائحة الأغراض من راشيل ولحقه سي قائلاً:

«يمكننا إلقاء نظرة على ما ينقص المخزن أيضاً».

ورافق رئيس العمال الثاني تاركاً كول وراشيل وحدهما.

قبل أن يتمكن كول من أن يقول أي كلمة، توجّهت راشيل نحو هانا ورفعت العربة عن الطاولة.

قال كول وهو يقف: «يمكنني أن أحملها عنك».

خرجت من المطبخ قائلة: «كلا، أستطيع ذلك وحدي».

حسناً، لقد أساء التصرف طيلة فترة الصباح وعليه بطريقة ما إعادة تصحيح الأمور، أسوأ ما في الأمر أن راشيل ستظل تشعر أنها مجروحة مهما قال.

صعد السلالم بسرعة ليجد راشيل في غرفة الصغيرة. لطالما أثارت صورتهما معاً الألم في نفسه.

- آسف راشيل، كان علي أن أوقظك هذا الصباح قبل أن أذهب.

بقيت راشيل تهز الصغيرة من دون أن تنظر إلى كول. لقد آلمها تصرفه. ظلت صامتة وهي تمشي نحو سرير هانا لتضعها فيه. وعندما التفت كان قد رحل. وجدته في غرفة الضيوف يجمع أغراضه وقال: «سأعود إلى منزل العمال».

الأمر يتخطى ذلك فكول سيتركها.

لم تشعر راشيل بمثل هذا الأذى من قبل وقالت: «أنت لا تشعر بالأسف كول. لم تشأ مواجهتي أو مواجهة حقيقة مشاعرك تجاهي».

توقف عن جمع أغراضه وقال: «كنت أتمنى لو أنَّ الأمور مختلفة».

- تباً كول. يمكن للأمور أن تكون مختلفة إن أردت لها ذلك. عليك أن تريدني بما يكفي لتناضل من أجلي.

نظر إليها بعينين غاضبتين قائلاً: «أتظنين أني لم أحاول؟ كلما دنوت من شيء، يؤخذ مني. يتعب المرء في النهاية من كثرة المحاولة».

ثم أقفل حقيبته وأنهى حديثه قائلاً: «هكذا أفضل».

لحقت به راشيل لكنها لم تكن لترجوه أن يبقى. وصلا إلى المطبخ عندما بدأ الهاتف يرن، فرفعت السماعة: «آلو».

- مرحباً راشيل، أنا بيث نيلي.

مسحت عينيها المغرورقتين بالدموع، لم ترغب في الكلام الآن لكنها قالت: «كيف حالك بيث؟».

- أنا بخير، آمل أن تكوني أنت كذلك، لدي بعض الأخبار لك. لقد عثرنا على والد جوش.

www.elromancia.com

١٠ - عودة ورحيل

بعد مرور ساعة، لم تعد راشيل تحتمل الجلوس مكتوفة اليدين فخرجت تنتظر وصول بيث عند عتبة منزلها. أملت ألا يصل جوش وآيمي قبل أن يتمكنا من تصوّر مخرج للوضع. آخر ما كانت تريده هو أن يعلق الولد بين المطرقة والسندان.

قال لها كول وهو يخرج من الباب ويقف عند العتبة: «ستكون الأمور على ما يرام راشيل».

لم تشأ أن تفتح معه أي نوع من الأحاديث، فهو سيتركها:

- كيف يمكن أن تقول ذلك؟ أي نوع من الرجال يترك ابنه من دون مال أو طعام ويرحل؟ وهو الآن يريد أخذ جوش من منزله من أحضان عائلته. لقد بات جزءاً من العائلة.

وسالت الدموع على خدها.

قال كول: «أعلم ذلك فالولد ينتمي إلى هذا المكان، وستدرك بيث ذلك أيضاً. أشك في أنها ستسلمه للرجل الذي تخلّى عنه».

اقترب منها فلم تقاومه وشدها إليه. كانت تحتاج إلى قربه ودعمه ولو لفترة وجيزة.

وصل صي إلى الحديقة بينما ركنت بيث نيلي سيارتها بالقرب من المنزل.

أفلتت راشيل من عناق كول وابتسمت مرحّبة بضيفتها. خرجت بيث من السيارة، وكذلك فعل رجل طويل القامة، بدا أكبر من عمره

الحقيقي. لا بد أن سام أوينز عاش ظروفاً صعبة.

لكن راشيل لم تكن تهتم لهذا الأمر فما من أب يجب أن يترك ابنه. ما من ظروف تبرر تخليه عنه.

قالت راشيل: «مرحباً بيث».

أخذت العاملة الاجتماعية يدها وقالت: «تسرني رؤيتك راشيل، كيف حال هانا الصغيرة؟».

- إنها تكبر بسرعة قياسية وهي نائمة الآن.

- سأراها لاحقاً إذاً.

أومأت لكول الذي تبع راشيل ثم رحبت بسي.

مشى الرجل موضوع الاهتمام نحوهم وقامت بيث بعملية التعارف: «راشيل هويت، أعرفك بسام أوينز».

نزع السيد أوينز القبعة عن رأسه وحملها بين يديه وأومأ لها قائلاً: «مرحباً سيدتي، أقدر لك اهتمامك بابني طوال هذه الفترة».

كانت راشيل تشعر بالغضب لكنها رفضت أن تفقد أعصابها وقالت: «يسرنا وجود جوش بيننا».

نظر سام حوله وقال: «هل هو في الجوار؟».

- أرسلته إلى البلدة للقيام ببعض الأعمال.

هز سام رأسه وقال: «إنه يعمل بجد».

وقبل أن تتمكن راشيل من الإجابة تدخلت بيث: «ربما يجدر بنا الدخول إلى المنزل.. والتحدث».

فتح كول الباب فدخل الجميع وسأل: «هل يرغب أحد بتناول القهوة؟».

جلس الجميع حول الطاولة ووزعت القهوة وكانت راشيل أول من تكلم: «سيد أوينز أود أن أعلم منك كيف تمكنت من ترك ابنك

dvd-elromancia.com

وحيداً».

كانت عينا الرجل الزرقاوان تشبهان كثيراً عيني ابنه.

- كنت مضطراً لإيجاد عمل.

- لماذا لم تأخذ جوش معك؟

أشاح بنظره عنها والتفت إلى بيث ثم إليها مجدداً قائلاً: «تعلمين سيدتي أنه لا يوجد عمل كثير في هذا الوقت من السنة في المزرعة لكني سمعت عن فرصة عمل تقضي برعي الماشية في ميدلاند. واضطررت للبقاء في كوخ حقير من دون سقف. لم يكن هناك مكان لجوش، لكني أقسم لك أني تركت له طعاماً وكل ما تيسّر معي من نقود، كما كنت أرسل له مبلغاً عند كل دفعة».

قالت راشيل: «لا أصدق ذلك، فالفتى كان يتضور جوعاً عندما أتى إلى هنا».

أومأ برأسه ورمق بيث بنظرة فأشارت إليه أن يتابع الحديث فقال مطأطئاً رأسه: «هذا أمر سأندم عليه طيلة حياتي. لكن الرجل الذي كنت أرسل معه الأموال لم يوصلها. كان ينبغي على رئيس العمال أن يقتطع معظم أجري ويرسله إلى جوش بالبريد. أنا لا أجيد الكتابة، فكان هو يساعدني. وجدت لاحقاً أنه يسرق مالي، فغادرت عائداً إلى هنا حين سمعت بأمر الآنسة نيلي وأنها تبحث عني».

قالت بيث: «تحققت من صدق روايته، يبدو أن رئيس العمال كان يقوم بالأمر ذاته مع كثيرين. لكني قلت لسام إن هذا ليس عذراً يبرّر تركه لابنه القاصر وحيداً، ولن يحصل على الوصاية حتى يثبت أنه قادر على تأمين منزل لابنه».

نظر سام إلى العاملة الاجتماعية وقال: «أنا بحاجة لإيجاد عمل، لكنك قلت إني أستطيع رؤية جوش اليوم».

التفتت بيث إلى راشيل وقالت: «يمكننا تدبر مواعيد الزيارة مع راشيل. هل لديك مشكلة في ذلك راشيل؟».

هزت راشيل رأسها: «كلا، لكني أريد أن يعود جوش لمتابعة دراسته».

فرد سام: «أجل، أنا أريد ذلك أيضاً، فهو ولد ذكي».

عندئذٍ سمعت راشيل هدير الشاحنة وقالت: «إنه جوش».

اغرورقت عينا سام بالدموع وهو يقول: «هل يمكنني أن أذهب لرؤية ابني، أرجوك».

أومأت له راشيل فكاد يقفز من مكانه إلى الخارج.

انتقلت بيث إلى جانب راشيل لتقول متنهدة وهي تنظر من النافذة ترى الأب والابن يتعانقان: «أعتقد أن سام رجل صالح. لكنه يحتاج لمساعدة كي يحدد خياراته واتجاهاته. أحياناً أحب عملي. وأظن أني سأصعد لرؤية هانا».

قالت راشيل: «بالطبع، فهي ستستيقظ قريباً».

بعد رحيل العاملة الاجتماعية لم تتمكن راشيل من ردع نفسها عن رؤية جوش. نظرت عبر الغرفة إلى كول لكن تعابيره لم تفصح عما يفكر فيه وسألها: «هل أنت بخير؟».

كلا! تجاهلت سؤاله ومشت نحو الباب الخلفي تراقب المشهد بين الأب وابنه عبر الزجاج.

كان جوش يعانق أبيه بحرارة ويتمتم كلاماً غير مفهوم ثم عرّف آيمي بسام. علقت غصّة في حنجرة راشيل حين رأت كيف محت الابتسامة السنوات عن وجه الأب.

ما من شك في حب جوش وآيمي لبعضهما البعض.

تمتمت تقول لنفسها وهي تعلم أنها على وشك أن تخسر شخصاً آخر

ممن تحبهم: «حسناً، يبدو أن بعض الأمور تنتهي بشكل سعيد».

رفع جوش نظره إليها وهي تخرج من الباب: «مرحباً راشيل، ها قد عاد أبي».

صعب عليها الكلام عبر ابتسامتها الدامعة لكنها قالت: «أعلم، أليس هذا رائعاً؟».

على الأقل سار أحد الأمور بشكل صحيح.

نظرت من فوق كتفها لتجد أن كول يراقبها. لكن بعض الأمور الأخرى لا تسير جيداً. لقد اعترفت بمشاعرها للرجل الليلة الماضية، لكنه لا يريدها. بالرغم من حبها الكبير له وكل ما تكنه له من أحاسيس لم تتمكن من إبقائه معها.

حان الوقت لتتركه يرحل.

وقبل أن تفقد أعصابها التفتت نحو الأب والابن مجدداً ونادت: «سام!».

نظر الرجل إليها: «أجل سيدتي؟».

- تقول إنك تبحث عن عمل، أليس كذلك؟

- أجل سيدتي، هذا صحيح. أتعرفين ما إذا كان أحدهم يطلب عمالاً؟

- أنا أفعل. يبدو أن لدي عملاً تركه لك سلفك للتو.

اتسعت عينا جوش فيما بدا سام غير مصدق.

- إنه عمل مع غرفة في منازل العمال وثلاث وجبات في اليوم.

- شكراً، آنسة هويت، أنا ممتن لك. لن تندمي.

لكنها كانت قد ندمت وانتهى الأمر.

- جيد، نادني راشيل أرجوك. يمكنك الانتقال إلى هنا متى شئت.

استدارت راشيل لترى كول يستند إلى الحائط عند المدخل. لم تكن

الدهشة تبدو عليه. إنه ماهر حتماً في إخفاء مشاعره، وقالت له: «يبدو أن أمنيتك تحققت إذ وجدت بديلاً لك وبات بإمكانك المغادرة».

بعد عشرين دقيقة كان كول يرمي أغراضه في حقيبته. تناول عدّة الحلاقة ووضعها في زاوية حقيبة بلاستيكية صغيرة ثم نظر في أرجاء الغرفة. لم يتبقَّ الكثير.

سيرحل من هنا.

- إذاً أنت راحلٌ حقاً.

التفت كول نحو الباب ليرى سي فقال له: «حان الوقت لذلك».

- بالنسبة إلى عابر سبيل فقد حان الوقت منذ زمن بعيد، لكنك وجدت ما يمنعك من الرحيل قبل الآن.

لم يشأ كول الجدال فقال: «لم تعد راشيل بحاجة إليَّ».

قطب سي جبينه وقال: «راشيل تعتقد أنها ليست بحاجة لأحد. لكن هذا كله تمثيل، لتحمي قلبها. لقد خذلها الكثيرون فاعتادت الأمر وهي لا تتوقع بقاء أحد معها، فلا تلمها على ذلك».

أقفل كول الحقيبة. إنه يعرف تلك المشاعر جيداً وقال: «لست الرجل الذي تحتاج إليه».

حدق فيه سي وقال: «إذاً اتركها ببساطة لويلز، أو أسوأ لذلك المغرور فينس».

لم يشأ كول أن يتخيَّل راشيل مع رجل آخر، ليس بعد أن سمع دقات قلبها، ليس بعد أن غمرته بحبها وتاه بين أحضانها كصحراء نزلت عليها قطرات المطر. الليلة الماضية فقط غمرها بين ذراعيه بحرارة، وسرت رعشة في أوصاله فطرد الفكرة من ذهنه.

حمل الحقيبة وتوجَّه نحو الباب قائلاً: «راشيل إنسانة ذكية وسوف تختار ما هو الأفضل لها ولهانا. أما أنا فعليَّ الرحيل».

www.elromancia.com

وفي تلك اللحظة هرع جوش إلى الغرفة ونظر إلى الحقيبة في يد كول قائلاً: «أخبرتني راشيل أنك سترحل».

- كنت أفكّر في الرحيل منذ فترة، وقد وصل والدك في الوقت المناسب ليأخذ مكاني.

بدا الرعب على وجه الفتى وهو يقول: «لكني ظننت أنك وراشيل.. أعني خطر لي أنك تودّ أن تبقى من أجلها. أعلم أنك تهتم لأمرها.. ولأمر هانا. ثم ماذا عني أنا..؟».

لم يكن لدى كول أجوبة يقدمها لجوش ولا حتى لنفسه. لو أن الأمور مختلفة.. لو أنه هو نفسه مختلفاً...

- عليَّ فعل ذلك جوش.. لدي منزل في أتلانتا وعمل أديره. مضى وقت طويل على رحيلي وأحتاج لأن أعود.

لم يقل جوش شيئاً.

- أريدك أن تهتم براشيل، وتبقى في المدرسة.

هز الولد رأسه ولم يحاول إخفاء دموعه.

وحين مدَّ كول يده ليصافحه، تجاهل جوش اليد وعانقه بقوة.

ابتعد جوش عن كول وهرب قائلاً: «شكراً على مساعدتي. لن أنسى لك ذلك».

شعر كول بغصّة وحزن. عليه أن يغادر المكان الآن.

- يبدو أنك تركت أثراً عميقاً في الفتى.

هزَّ كتفيه وأجاب: «تكلمت معه بضع مرّات لكنه سيكون بخير».

مدَّ سي يده فأخذها وسمع العجوز يقول: «أدين لك بالكثير باريش. بحياتي كلها. أتمنى لو كانت الأمور مختلفة».

أجابه كول وهو على وشك الانهيار: «لا يمكنها أن تكون كذلك».

حدّق فيه الرجل طويلاً قبل أن يقول: «قد تدرك يوماً ما أن كل ما

تبحث عنه موجود هنا».

لم يستطع كول سوى أن يهز رأسه قبل أن يخرج من الباب. التفت إلى المنزل لكنه لم يرَ راشيل عند العتبة ورفع نظره إلى الطابق العلوي فرآها عند النافذة تحمل هانا بين ذراعيها.

انقبض صدره لكنه تابع سيره نحو الشاحنة وهو يقنع نفسه بأن ما يقوم به أفضل لكليهما. رمى حقيبته على المقعد الخلفي وصعد إلى الشاحنة ثم أدار المحرّك وانطلق مبتعداً.

أكثر ما كان يؤلمه أن راشيل كل ما يريده من هذه الدنيا.. وكل من يحب في الحياة. والأسوأ أنه لم يكن بيده حيلة.

* * *

قال ليوك كالواي وهو يدخل مكتب كول في الشركة: «لن ينجح هذا».

مضى شهر تقريباً على عودة كول إلى أتلانتا. عاد إلى حياته القديمة ومنصبه في الشركة، لقد بذل قصارى جهده ومع ذلك لم يستطع أن ينسى حياته في تكساس.

- ما هو هذا الذي لن ينجح؟

- أنت.. يجب ألاَّ تكون هنا.

كان صديقه القديم يتمتع بالسحر والوسامة اللذين يلفتان النظر وهو يجيد التعامل مع الزبائن، ويسيطر على قواعد اللعبة. وكان كول يحب فيه هذا كله.

أما كول فيحب البقاء خلف الأضواء وإدارة الأمور بصمت.

- أعلم أني أبدو عديم الفائدة هنا..

هز ليوك رأسه وقال: «هذه ليست المشكلة، أنت أشبه برجل آلي يتحرك طوال الوقت. لكن عملك لا روح فيه».

ابتلع كول ريقه. كان شريكه محقاً، لكن ما من مكان آخر يذهب إليه.

- تطلب مني العودة إلى العمل بعض الجهد للتأقلم.

تفحصه ليوك جيداً قبل أن يقول: «أتمنى لو كان هذا صحيحاً. لا أستطيع أن أخبرك بمدى حاجتي لصديقي وشريكي هنا لكني أرى بوضوح كم تكره سجنك هنا. قلبك وفكرك ليسا مكرسين للعمل هنا فقد تركتهما في تكساس مع راشيل».

انقبض صدر كول وهو يقول: «لا تبدأ ليوك».

- لم تترك ذلك المكان أصلاً كول. ولا تنكر أنك تمضي وقتك وأنت تفكر فيها.

حاول كول أن يدّعي الغضب، لكنه لن يتمكن أبداً من خداع ليوك.

- حسناً وماذا إن كنت أفكر فيها؟ لكن هذا لا يعني أني سأفعل شيئاً حيال ذلك. أقصد أني لا أستطيع إبقاءها مع شخص مثلي له سجل طويل.

- حين تتعلق الأمور بالحب والنساء تكون النساء مستعدات للتغاضي عن الكثير من أخطائنا نحن الرجال.

- أنا جاد في ما أقول. لا أستطيع منحها ما تريد. لست من النوع القادر على تأسيس عائلة.

- بل تستطيع، إذا سامحت نفسك وتركت الماضي حيث هو. اسمعني كول، مهما كانت الاتهامات التي رمتك بها جيليان، فكلاكما ملام على فشل زواجكما.

استدار ليوك حول الطاولة وجلس على الحافة قبل أن يكمل: «لقد منحتها الكثير لكنها لم تكف عن مطالبتك بالمزيد».

كان كول يعلم أن جيليان شخص متملّك وقد لجأت إلى مختلف الوسائل لإبعاد أصدقائه عنه.

- لكني لو كنت هناك معها..

- ما كنت لتغيّر شيئاً، ما حصل لطفلكما كان امراً رهيباً لكن عليك أن تسامح نفسك وتمضي قدماً.

- ماذا لو لم أستطع ذلك؟

بدا ليوك جاداً وهو يسأله: «إلى أي مدى تريد تمضية حياتك مع تلك المرأة؟».

- أكثر من أي شيء في هذا الحياة.

- إذاً هيا اذهب! بقدر ما أحب أن تبقى هنا معي، بقدر ما أعرف أنك تنتمي إلى حيث هي راشيل. إنها متغلغلة في عروقك.

والتوت شفتا ليوك بابتسامة وهو يضيف: «أراهن على أنها جميلة أيضاً. أتذكر أني كلمتها مرة عبر الهاتف فجعلني صوتها الرقيق المثير أتخيّل الكثير..».

لم يحب كول نظرات ليوك المخادعة وهو المشهور بسمعته مع النساء.

- كفى، هي ليست من هذا النوع كما أنها ليست معتادة على الرجال من أمثالك.

رفع ليوك حاجبه وقال: «ها أنت تدافع عنها. أعتقد يا صاح أن هذا يسمى حباً. إذاً هل ستتعقّل وتهرع إليها أم ستبقى هنا وتنغّص عليّ عيشتي؟».

على الرغم من محاولات كول الحثيثة.. إلاّ أنه وقع في حب راشيل.. وهانا.

لقد اشتاق إليهما كثيراً. ولم يتمكن من ردع نفسه عن التفكير في ما فعلت بالمزرعة. هل بدأت تنفيذ خططها يا ترى؟ كما أنه يفتقد لامتطاء

www.elromancia.com

ديوك كثيراً.

نظر إلى ليوك وسأل: «هل ما زال هناك من هو مهتم بشراء حصتي؟».

أومأ صديقه ببطء وأجاب: «نستطيع أن نبقي الأمور على حالها لفترة أطول. أستطيع تدبر الأمور هنا».

كان كول يعلم أن صديقه يحاول تسهيل الأمور عليه قدر المستطاع لكنه أطلق تنهيدة وقال: «كلا ليوك فقد انتهت أيام عدم الاستقرار. صرت جاهزاً لإيجاد موطن لي والبقاء فيه، هذا إن استقبلتني راشيل».

١١ - وعاد..

انتقلت عدوى الحر من شهر آب إلى شهر أيلول الذي كان أشد حرارة منه. ولم تشأ راشيل أن تحلّل سبب فقدان شهيتها وميلها للنوم لكنها كانت تدرك في سرّها أن كول هو السبب.

نهضت من السرير. كانت بحاجة إلى تسيير الأمور بغض النظر عن مشاعرها فثمة أسخاص يعتمدون عليها. عليها أن تطعم هانا وتعدّ طعام الفطور لكل من سي وجوش وسام.

للكل ما عدا.. كول.

ألقت باللوم على نفسها لمزاجها المتعكر وهي تضع العباءة عليها ثم ألقت نظرة على هانا النائمة وارتدت ملابسها.

وضعت عربة هانا على طاولة المطبخ وبدأت بتحضير طعامها.

أمور عديدة أصبحت مؤخراً ترسم الابتسامة على ثغر راشيل. باتت هانا تحتل المرتبة الأولى في قائمة أولوياتها. فتحت باب المطبخ الخلفي لتشعر بحرارة الصباح ولوّحت لكل من سي وسام المتوجهين إلى الحظيرة للبدء بأعمالهما.

عادت إلى الطاولة وبدأت إطعام هانا مستعملة ملعقة صغيرة. كانت راشيل تضحك لحركات الطفلة التي أخذت تحرّك يديها وقدميها بسرعة فائقة وتصدر أصوات وضحكات بين الملعقة والأخرى.

ضحكت راشيل وقالت: «من الواضح أنك سعيدة جداً هذا الصباح. نعم إنك كذلك».

www.elromancia.com

كانت قد انتهت من إطعامها حين سمعت هدير شاحنة تتوقف عند المدخل. وتساءلت عمن عساه يأتي في مثل هذا الوقت المبكر.

حملت هانا وتوجّهت إلى الباب، وشعرت بضوء الشمس المشرقة يبهرها ثم لمحت شاحنة سوداء. إنها شاحنة كول.

علقت أنفاسها في رئتيها وسمعت صوت دقات قلبها عنيفة في أذنيها وهي تراه يخرج من الشاحنة. خرج جوش راكضاً من منزله يحييه.

تجمدت راشيل وهي تراه يصعد السلالم يعتمر القبعة السوداء المألوفة مغطياً بها شعره الأسود الكثيف. وحين رفعها لاحظت أنه قصّ شعره.

راحت تتأمل ملامح وجهه. لقد اشتاقت لتينك العينين الرماديتين اللتين تخبئان الكثير، وذاك الذقن المثير والفم الصغير. وفجأة، استعادت ذكر الألم الذي سببه لها برحيله عنها.

قال جوش وهو يحث الخطى خلف كول: «انظري راشيل، لقد عاد كول».

أجابت: «أرى ذلك».

- دعيني آخذ هانا منك.

وهرع الفتى إليها يختطف الطفلة من بين ذراعيها ويختفي خلف جدران المنزل تاركاً راشيل عزلاء من دون دفاع. ليس لديها مكان تذهب إليه.. وتهرب.

علم كول أنه كان عليه أن يتصل قبل المجيء لكنه خشي أن تقفل الخط بوجهه وما كان ليلومها على ذلك فقد جعلها تعاني الكثير.

- مرحباً راشيل.

هزت رأسها وقالت: «اسمع كول، إن عدت بحثاً عن عمل، فأنا آسفة لأني لا أوظف أحداً الآن».

بحثت عيناه في وجهها الجميل، في تلك العينين البنيتين الواسعتين

اللتين لم تفارقا خياله لحظة واحدة منذ تركها ورحل. وقال: «لست هنا بحثاً عن عمل، بل أتيت للتحدث إليك».

اتسعت عيناها: «ما الذي تريد التكلم عنه؟ لقد أوضحت مشاعرك على أحسن وجه.. أردت الرحيل».

لن تسهّل الأمور عليه فسألها: «ماذا لو أخبرتك أني أدركت أني كنت مخطئاً؟ وأني أدركت أن كل ما أريده في الحياة موجود هنا؟».

هزّت رأسها فيما ملأت الدموع عينيها وهي تقول: «لا تفعل هذا بي كول. أسدِ لكلينا خدمة وعد أدراجك».

استدارت لتعود إلى المطبخ عندما لامس ذراعها قائلاً: «أرجوك راشيل، أعلم أني لا أستحق اهتمامك لكني بحاجة إليه. لم أعد إلى هنا لأسبب لك الأذى».

- سبق لك أن فعلت ذلك عندما رحلت.

لم يكن كول واثقاً من أنه يستطيع إعطاءها الجواب الذي تريد فقال: «ثمة أمور عدة عالقة من ماضيّ وقد هربت منها لأني لم أشأ مواجهتها. ألقيت اللوم على نفسي في كل ما حدث في زواجي. لقد خسرت الكثير وخشيت أن أخاطر مجدداً. خشيت أن أثق بمشاعري».

تسلّحت راشيل بالقوّة لتسأل: «وما شأني أنا بكل ذلك؟».

ابتلع ريقه وأجاب: «أريد أن أحصل على فرصة معك، أعلم أني لا أستحقها لكن أرجوك لا تخيبّي أملي يا راشيل».

- كيف لي أن أصدّقك وقد رحلت وتركتني منذ شهر فقط؟ لا يمكنني أن أفعل ذلك مجدداً يا كول.

واستدارت لكنها ترددت حين سمعت صراخ هانا. وتوجّهت إلى الأرجوحة القديمة لتغرق فيها.

لحق بها كول وجلس على الحافة قبالتها قائلاً: «كنت أحتاج لهذا

www.elromancia.com

الوقت راشيل. احتجت لفسحة للشفاء من الماضي. لذا عدت إلى أتلانتا وحاولت العمل في شركتي».

رفعت رأسها بسرعة وسألت: «شركتك؟».

هز رأسه إيجاباً وقال: «منذ عشر سنوات أسسنا أنا وصديقي ليوك شركة سي أند بي فايبر أوبتكس».

هزت رأسها وقالت: «ظننتك مجرّد عامل في المزارع، هل عرفتك يوماً كول؟».

دنا كول منها وردَّ: «راشيل، لقد عرفتني أكثر من أي شخص آخر. أكثر مما أعرف نفسي».

أخذت نفساً عميقاً متردّداً لتقول وهي تقف: «أراهن أن ليوك سُرّ بعودتك».

- كان سعيداً في البداية، لكنه أراد مؤخراً طردي ركلاً وإخراجي من الشركة.

- لماذا؟ فهذه شركتك أيضاً.

- كانت الشركة يوماً كل حياتي ولكنها لم تعد تمثل ما أريده في الحياة. لذا قررت أن أبيع حصتي التي تمثل نصف الشركة لليوك.

تردّد قليلاً، لكنه أدرك أن عليه أن يعترف لراشيل بكل ما حصل.

أخذ نفساً عميقاً طويلاً وأضاف: «ذهبت أيضاً لرؤية جيليان. تحدثنا في مواضيع عدة. اعتذرت لعدم وجودي بجانبها كما اعتذرت هي أيضاً. قالت إن ليس لديها الحق في إلقاء اللوم عليَّ لخسارة طفلنا».

لاحظت راشيل اشتداد عضلات وجهه فقاومت رغبتها في الإسراع إليه لتقول: «هل تصدقها؟».

هز رأسه وردَّ: «في عقلي أجل، لكن الألم سيبقى دوماً في مكان صغير من قلبي.

- بالطبع فهو ابنك.

أومأ لكنها ما زالت ترى مشاعره بوضوح على وجهه.

- هل ما زلت تحبها؟

تفاجأ كول لسؤالها وأجاب: «كلا».

ثم ابتسم برقة وأضاف من دون أن يتردّد: «لقد تزوجت ثانية وهي تنتظر طفلاً. أنا سعيد لأنها تابعت مسار حياتها وأودّ الآن أن أتابع حياتي أنا أيضاً».

شعرت راشيل بجفاف في حلقها وسألته: «وماذا تريد أن تفعل الآن؟».

- سأكف عن التسكع والانتقال من مكان إلى آخر، أعتزم تربية الخيول.

حاولت أن تخفي خيبتها بلباقة فسألت: «وما علاقة ذلك بمجيئك إلى هنا؟».

- حسناً، أعلم أن لديك الكثير من المشاريع وأريد أن أضيف إليها. فكرت في أن نصبح شريكين. فبالإضافة إلى تربية الماشية، يمكننا أن نعمل على تأصيل الخيول.. معاً. سيلد ديوك جياداً رائعة.

يريدها فقط.. أن تكون شريكته في العمل! فقالت: «آسفة كول! لا أظنها فكرة سديدة».

- إن كنت قلقة بشأن المال.. فأؤكد لك أني أستطيع الاستثمار..

قاطعته وهي تفكر في أنه لا يمكن أن يكون بهذه السذاجة: «لست تفهم. فمع كل ما حدث بيننا والاعترافات التي حصلت.. حسناً لعلها لا تعني لك شيئاً لكنها تعني لي الكثير ولا أستطيع أن أضعها جانباً وكأنها لم تكن أصلاً وأقيم معك علاقة عمل».

بدأت تمشي لتتجاوزه وترحل عندما وصل إليها وأمسك بها قائلاً:

«بل إنها تعني الكثير يا راشيل».

ومع أنها حاولت تخطيه والمضي قدماً إلاّ أنه تمكّن من منعها قائلاً: «أنت كل شيء بالنسبة إليّ، ولا أريد حصر علاقتي معك بالعمل، بل أريد بناء مستقبل معك ومع هانا. أردت أن أثبت لك أني سأستقر هنا إلى الأبد».

حضن وجهها بكلتيّ يديه وجاءت نظراته رقيقة كما كلماته: «تصرّفت بحماقة حين تركتك، لكني لم أستطع أن أقدم لك ما تحتاجين».

كانت مقاومتها تتراجع شيئاً فشيئاً وقالت: «لا أحتاج سواك أنت كول».

فهمس لها: «أحبك».

ضمّها إليه بقوة وحرارة ليجعلها تدرك ما يشعر به تجاهها. وطارت وحلقت عالياً في سماء حبه الذي يقدمه لها بسخاء.

ابتعد عنها في النهاية قائلاً: «قولي لي إني لم أتأخر..».

ابتسمت: «هذا يعتمد على أي شراكة تريد؟».

ابتسم هو أيضاً وأجاب: «شراكة طويلة الأمد حتماً».

طوقت عنقه بذراعيها وقالت: «أظن أن هذه الشراكة تتطلب إجراء مفاوضات جدية بيننا».

- كنت آمل أن تقولي ذلك.

راح رأس راشيل يدور ويدور وهي تقول: «قل ذلك مجدداً».

رفع رأسه إليها، يرمقها بعينين رماديتين: «أحبك راشيل».

شعرت بالدموع تملأ عينيها وهي تقول: «أنا أحبك أحبك كول، ظننت أنك لن تعود أبداً..».

مسح دموعها قائلاً: «آسف، لم أكن أستطيع العودة قبل أن أحل

مشاكل الماضي. أنت من ساعدني على ذلك».

- يسرّني سماع ذلك.

عاد يضمها إليه بحب يطمئنها إلى عمق مشاعره تجاهها.

صوت ما قطع عليهما العناق وقال: «كدت أنسى سامي. عليك أن تريها يا راشيل. إنها مهرة جميلة جلبتها لتكون مع ديوك. إنها مغناج كما ترين وقد أمضت ساعات مسجونة داخل الصندوق».

كان الحيوان يلطم جانب صندوق الشاحنة فأضاف: «لا تبدو سعيدة. يجدر بنا الذهاب إليها».

لكن جوش ظهر عند الباب الخلفي يحمل الطفلة الباكية ويقول: «لا أستطيع أن أجعلها تتوقف عن البكاء».

بدا الفتى مذعوراً وهو يسلّم الطفلة إلى راشيل، فقال كول وهو يأخذ الطفلة منه: «دعني أحملها جوش. هلا تأخذ الفرس من الصندوق وتضعها في الإسطبل».

رمق الفتى راشيل بنظرة ثم عاد ينظر إلى كول: «هل ستبقى؟».

- إن سمحت لي راشيل بذلك.

ومن دون أن ترفع نظرها عن كول قالت: «يستحسن بك أخذ الفرس إلى الحظيرة جوش».

فصرخ الفتى: «رائع».

وقفز على السلالم وركض نحو الشاحنة.

وضع كول هانا على كتفه وربت عليها فهدأت على الفور. عندئذٍ ضحك قائلاً: «أظن أنها ما زالت تذكرني».

سرت في عروق راشيل رعشة غريبة وهي تنظر إلى الرجل الذي كان يضمها منذ لحظات ويحمل الآن الطفلة بين ذراعيه.

- لقد عنيت ما قلت يا راشيل، فأنا أحبك.. وأحب هانا أيضاً.

أريد الزواج بك وتأسيس عائلة لنا نحن الثلاثة.

- هل أنت واثق كول؟

هز رأسه بثقة وأجاب: «أنتما كل من فكرت فيه منذ رحلت وما كنت لأعود مطلقاً لو أني لست واثقاً».

كان كول يعلم أنه رجل محظوظ، كما أدرك أن عليه أن يعوض راشيل. ابتسم ودسَّ يده في جيبه ليخرج خاتماً مرصعاً بحبَّة ألماس قائلاً: «خطَّطت لأخذك إلى العشاء في أحد مطاعم البلدة لكني لم أعد أطيق الانتظار».

- كول، إنه رائع!.

- إنه لا يقارن بك. هل تتزوجين بي راشيل؟.

- نعم كول أتزوجك.

وضع الخاتم في إصبعها ثم دنا منها وقبَّلها برقة، ثم عاد وابتعد قليلاً ليقول: «ربما يجب أن نجعل هانا تأخذ قيلولتها ومن ثم نتدبر أمر المفاوضات التي اقترحتها سابقاً..».

- أود ذلك.. كثيراً.

وفيما كان جوش يفتح باب الصندوق، التفت كول فرأى سي آتياً من الحظيرة ليساعده. لوَّح العجوز لهما قائلاً: «أهلاً بك في ديارك كول».

- شكراً سي، تسرني العودة مجدداً.

ونظر إلى راشيل وجذبها إليه. من الجيد العودة إلى الأبد.

الخاتمة

- هل تظن نفسك قوياً بما يكفي أيها العجوز؟

راقب كول الحصان ديوك وهو يشب في الحظيرة ويعبّر عن فقدان صبره بالصهيل.

والتفت كول من حوله ليرى التغييرات التي حصلت منذ عودته السنة الماضية.

مضت سنة ونصف منذ أتى للمرة الأولى إلى المزرعة بحثاً عن عمل.

والآن ومع انتهاء التصليحات، صارت الحظيرة أفضل حالاً بطلائها الجديد. وقد وضع هو وراشيل المزيد من الخطط للمزرعة. ما من شيء سيقف في طريق إعادة بناء المزرعة وتحويلها مجدداً إلى تحفة فنية.

نظر إلى المنزل المطلي بالأبيض اللمّاع والأسطح الحمراء. أما المدخل الذي أعيد بناؤه فازدان بسلاسل من الأزهار المتدلية وقد اشتروا أرجوحة جديدة يجلس هو وعروسه فيها معظم الأمسيات.

لقد تزوجا مباشرة بعد مجيئه وأقاما حفلاً في المزرعة. لم يشأ أن يمنح راشيل أيَّ فرصة لكي تغيّر رأيها.

قطع ليوك كل تلك المسافة ليكون مع صديقه يوم زفافه. ومن المدهش أن صديقه نفسه زار المزرعة مرتين. لا بد أن عودة ابنة آل كاميل ميغان إلى البلدة للتعليم في مدرستها مرتبطة مباشرة بزياراته المتكرّرة. من يدري؟.

رأى كول الباب الخلفي ينفتح لتخرج منه راشيل وهي تجر هانا

الصغيرة. تسارعت نبضات قلبه كالعادة لرؤية عائلته المؤلفة من زوجته وابنته. منذ بضعة أشهر قاما بتبنّي هانا رسمياً. بالكاد يصدق أنها بلغت سنتها الأولى وصارت تحبو في أرجاء المنزل. وأحب كلمة بابا من فمها.

خرجت آيمي من الحظيرة وتولت الاهتمام بالصغيرة وتوجّهت زوجته نحوه. شعر بذبذبات تجتاح جسمه عندما ابتسمت له زوجته الجميلة فخرج من الحظيرة ولاقاها في منتصف الطريق. ضمها إليه وقبلها طويلاً وعميقاً وقال لها همساً: «صباح الخير».

ابتعدت راشيل عنه بعينين مشرقتين وقالت: «سبق أن قلت لي صباح الخير.. أتعلم، علينا إيجاد مكان آخر لنا وحدنا. فالمنزل يعج بالناس: آيمي تلهو مع هانا وحيثما تكون هي يتواجد جوش».

- ألن يذهب إلى الجامعة قريباً؟

بدت حزينة وهي ترد: «لا تذكرني فسرعان ما سيغادرنا كل من جوش وآيمي».

فاجأ جوش الجميع بتفوقه في السنة الأخيرة في الثانوية فحصل على منحة لمتابعة دراسته في جامعة هيوستن.

- لقد أمنت له مستقبلاً يا راشيل حين آويته.

- أنت أيضاً ساعدته. أحبك لأنك أعطيته المال ليتعلم.

لن يكون المال مشكلة بالنسبة لهما مطلقاً.

- إنها الطريقة الوحيدة لنبقى وحدنا.

وشدها إليه في عناق حميم مضيفاً: «أعتقد أنه يجب أن نتكلم مع المهندس ليبني لنا مكاناً سرياً».

ابتسمت له: «سيكون ذلك مسلياً».

ثم غدت جديّة فجأة وهي تردف: «فسرعان ما سيعج المكان بمزيد من الناس».

- لماذا؟

- يبدو أن الجياد لن تكون الوحيدة التي ستلد في الشتاء.

حبست راشيل أنفاسها وهي تراقب صدى الخبر. لقد خططا الانتظار حتى انتهاء العمل في المزرعة، لكن في بعض الأحيان..

- أجريت فحص الحمل للتو، وأتت النتيجة إيجابية. أعتقد أننا لم نكن حذرين بما يكفي. أرجوك كول أعلم أنا لم نخطط لهذا.

لماذا لا يقول شيئاً؟

وفجأة قبّلها بكل أحاسيسه ومنعها من إكمال ما تنوي قوله. ولما ابتعد عنها كانا مقطوعي الأنفاس.

قبّلها مجدداً قبل أن يقول: «كيف يعقل أن أكون محظوظاً إلى هذا الحد؟ أحبك راشيل وأحب طفلنا القادم».

- كلانا محظوظ. منذ أن أتيت إلى هنا تغيرت حياتي.

- وتغيّرت حياتي أنا أيضاً. كنت تائهاً لوقت طويل لكن لحظة رأيتك.. كان عليَّ الرحيل لكني لم أستطع ذلك.

كانت راشيل تعلم أن لدى كول بعض المخاوف حيال حملها فقالت: «سيكون كل شيء على ما يرام هذه المرة كول».

أومأ وقال يعانقها: «أعلم ذلك، وسأكون معك في كل خطوة طوال أشهر حملك. تطلّب الأمر فترة طويلة لكنك أظهرت لي أن ما من شيء يوازي أهمية العائلة، وكلما كبرت كلما كان أفضل».

وضحك من قلبه لها.